

مدى تسلسل في العصر الإسلامي دراسة في التاريخ السياسي والحضاري

إعداد

دكتور

عبد الحفيظ محمد حسين

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لمساعد
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

مؤسسة شباب الجامعة
د. ش. الدكتور مصطفى مشرفة
ت ٤٨٣٩٤٧٢ - الإسكندرية



0027647

مَدِينَةُ سَلَامٍ فِي الْعَصْرِ الْإِسْلَامِيِّ

دراسة في التاريخ السياسي والحضاري

إعداد

دكتور

عبد الحفيظ محمد حسين

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لمساعد
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٩٣

مؤسسة شباب الجامعة

د. الدكتور مصطفى مشرفة
ت ٤٨٣٩٤٧٢ - الإسكندرية

التاريخ السياسى لمدينة سلا

سلا من الفتح الإسلامى حتى عهد المرابطين

سلا SALÉ مدينة أزلية قديمة تقع على ساحل المحيط الأطلسى، كانت فى الأصل قرية بربرية صغيرة، يرجع بنائها إلى حوالى عام ١٥٠٠ ق.م، وقد أنشأ بها القرطاجنيون متجراً عُرف فى عهدهم باسم سلفيس Silves، ثم احتلها الرومان فى مطلع القرن الأول الميلادى وسموها سلا - كولونيا. وكانت سلا تقع فى أقصى الحدود الجنوبية للمستعمرة الرومانية بالمغرب، وقد استمرت سلا مستعمرة رومانية مدة تقرب من الخمسمائة عام بلغت خلالها شأواً بعيداً من الازدهار^(١)، ثم تضاعفت أهميتها عند ظهور الوندال ولكنها لم تلبث ان استعادت مجدها على طول العهد البيزنطى^(٢).

(١) بدأ اكتشاف الأطلال الرومانية بها منذ سنة ١٩٢٠م وأهمها الساحة العمومية وقوس النصر. ويبلغ طول سور الساحة العمومية خمسمائة متر فى عرض ثلاثمائة متر، كما كان لقوس النصر ثلاثة أبواب، كما اكتشفت بها آثار لبعض الطرق ومقبرة قديمة.
راجع: حركات (إبراهيم): المغرب عبر التاريخ، الجزء الأول، طبعة الدار البيضاء، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م، ص ٧٣.

(٢) مؤلف مجهول: الاستبصار فى عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب والسودان، مؤلف فى القرن السادس الهجرى، تحقيق د. سعد زغول عبد الحميد، مطبوعات جامعة الإسكندرية، ص ١٤٠، الحميرى.. (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجى): صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعمار فى خبر الاقطار، تحقيق ليلى بروفنسال، القاهرة، ١٩٣٧م، ص ٣١٩. الوزان (الحسن بن محمد الفاسى المعروف بليون الأفريقى)، وصف افريقية، الجزء الأول، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٢٠٧، ابن القاضى (أحمد بن محمد المكناسى) "جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، الرباط، ١٩٧٣-١٩٧٤م، ق ١، ص ٢٠، حركات. المغرب عبر التاريخ، ص ١، ص ٦٥، ٧٤، ٧٥؛ السويسى (عبد الله): تاريخ رباط الفتح، الرباط، ١٩٧٩م، ص ٧٧.

ظلت سلا خاضعة للحكم البيزنطي إلى أن قام القائد عقبة بن نافع الفهري بفتحها عام ٦٢هـ (٦٨٢م) وأسلم أهلها على يديه ولكنهم ما لبثوا أن ارتدوا عقب مقتله في تهودة^(١) عام ٦٤هـ (٦٨٤م)^(٢) ثم عادوا وأسلموا مرة ثانية عام ٩٠هـ (٧٠٩م) على يد القائد موسى بن نصير^(٣) ثم فتحها إدريس الأول عام ١٧٢هـ (٧٨٩م)^(٤) وتداول

(١) تهودة بلدة صغيرة في أرض الزاب، ويُعرف هذا المكان اليوم باسم سيدي عقبة، وهو واحة صغيرة بالقرب من بسكرة في الجنوب من ولاية قسنطينة.

ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد): أعمال الإعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الاسلام. القسم الثالث الخاص بالمغرب وصقلية، تحقيق د. أحمد مختار العبادي والاستاذ محمد ابراهيم الكتاني، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٦٤، هامش (٢) ص ٢، ٣.

(٢) ابن عذاري المراكشي (أبو عبد الله محمد): البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب. خمسة أجزاء، الثلاثة أجزاء الأولى تحقيق كولان وليلى بروقنسال، بيروت بدون تاريخ، والجزء الرابع خاص بتاريخ المرابطين، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٧م، والجزء الخامس أو قسم الموحدين، تحقيق محمد ابراهيم الكتاني، محمد بن تاوريت، محمد زنيير وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، ١٩٨٥م، ج ١، ص ٢٧، ٢٨، ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ق ١، ص ٢٠، سالم (السيد عبد العزيز) المغرب الكبير (العصر الإسلامي) طبعة الإسكندرية، ١٩٦٦، ص ٢٢٦، ٢٢٧، السويسي، تاريخ رباط الفتح، ص ٧٨.

(٣) ابن عذاري، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٢، ابن القاضي، المصدر السابق، ق ١، ص ٢٠؛ سالم، المرجع السابق، ص ٢٥٦، ٢٥٧؛ السويسي، المرجع السابق، ص ٧٨.

(٤) هو إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن علي بن أبي طالب مؤسس دولة الأدارسة في بلاد المغرب. وكان قد شارك في الثورة التي قام بها العلويون في الحجاز عام ١٦٩هـ (٧٨٦م) بزعامة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب والتي انتهت بالفشل بعد أن أوقع بهم العباسيون في موضع يسمى فخ بين مكة والمدينة المنورة أثناء موسم الحج من نفس العام. وقد نجا إدريس هذا من مذبحه فخ وفر إلى بلاد المغرب بصحبة أحد مواليه الذي اتصف بالشجاعة والعقل وهو راشد. وقد نزل إدريس بمدينة وإيلى على زعيم قبيلة أوربة البربرية إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي الذي أكرمه وأحسن وفادته وانتهى الأمر بمبايعة إدريس بالإمامة وذلك في شهر رمضان عام ١٧٢هـ (فبراير عام ٧٨٩م) وتمكن إدريس من إقامة دولة قوية بالمغرب الأقصى.

ملكها بنوه من بعده.(١)

توفى إدريس بن إدريس بن عبد الله العلوي في الثاني عشر من جمادى الثانية عام ٢١٣هـ (التاسع والعشرين من أغسطس عام ٨٢٨م) وخلفه على الإمامة ابنه محمد بعهد من أبيه إليه، وقد أوصته جدته كنزة أن يشترك إخوته معه في سلطانه، فيقسم دولته إلى أعمال يتولاها إخوته(٢)،

راجع: البكري (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز): المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، نشر مكتبة المثنى ببغداد، بدون تاريخ، ص ١١٨-٢٢٦، مؤلف مجهول، الاستبصار، ١٩٤-١٩٨، ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاة): الحلة السيرة، تحقيق د. حسين مؤنس، في جزئين، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٢، ج ١، ص ٥١-٥٤، ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن علي الفاسي): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، طبعة الرباط، ١٩٧٣م، ص ٦-٧٠؛ ابن عذراي، البيان المغرب، ج ١، ص ٢١٠-٢١٦؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، القسم الثالث، ص ١٩٢-٢١٠؛ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد). العبروديان المبتدأ والخبر، بيروت، ١٩٦٥م، ج ٤، ص ٨-٣٢؛ سالم، المغرب الكبير، ص ٤٦٥-٥٢٩؛ سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، الاسكندرية، ١٩٧٩م، في جزئين، ج ٢، ص ٢٨٩-٤٠٦. Marçais, (G). La Berbérie musulmane et l'orient au moyen-âge, Paris, 1947, P.110-116.

(١) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ق ١، ص ٢٠، السويسي، تاريخ رباط الفتح، ص ٧٨؛ سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج ٢، ص ٤١٩.

(٢) عن هذا التوزيع راجع: البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص ١٢٤؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ج ١، ص ١٢٩-١٣١؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٥١، ابن القاضي، جذوة الاقتباس ق ١، ص ٢٣ السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري) الاستقصا لأخبار نول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، ١٩٥٤-١٩٥٥م، ج ١، ص ١٧٣.

فولى أخاه عيسى على سلا، وكانت النتيجة الطبيعية لتقسيم البلاد أن دب الخلاف بين الإخوة، فمنهم من استجاب لإغراء الاطماع الأنانية، فخرج على سلطان الأخ الأكبر، ومنهم من رأى التمسك بأهداب الطاعة، وانتهى الأمر بسلسلة من المنازعات والحروب بين الإخوة، فافتتح ذلك عيسى بالتمرد فى مدينة سلا وشق عصا الطاعة على أخيه طالبا الأمر لنفسه، فكتب الإمام محمد إلى أخيه القاسم صاحب طنجة^(١) يأمره بمحاربة عيسى بسبب مجاورة بلاده لسلا، ولكن القاسم امتنع عن ذلك^(٢)، فاضطر الإمام

(١) طنجة مدينة قديمة بالمغرب الأقصى تقع عند الطرف الغربى بمضيق جبل طارق بين البحر المتوسط والمحيط الأطلسى ولا يفصلها عن الشاطئ الأسباني المقابل سوى ثمانية عشر كيلومتراً. وقد عُرِفَت فى القديم أيام الفينيقيين والرومان باسم تنجى Tingi ومعناه بالبربرية البحيرة. ولما فتح المسلمون بلاد المغرب كانت طنجة قاعدة المجاز الكبرى إلى الأندلس، ثم خضعت للأدارسة ثم العلويين بفاس والأمويين فى الأندلس، ثم سيطر عليها حكام دولة برغواطة فى تامسنا، وجعلوا منها ومن سبتة أهم قاعدتين بحريتين لأعمال القرصنة ضد السفن التجارية المارة فى مضيق جبل طارق ثم استطاع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين أن يقضى على هذه الدولة البرغواطية ويحتل سبتة وطنجة. وكانت طنجة من أهم موانئ المغرب الإسلامى طوال العصور التالية.

راجع - مؤلف مجهول، الاستبصار، ص ١٢٨-١٢٩؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، القسم الثالث، هامش (١) ص ٢٠٢.

(٢) كتب القاسم إلى أخيه الإمام معتذراً عن توقفه عما أمره به فى أبيات شعر يفهم منها أن القاسم كان زاهداً فى أرض المغرب رغم ما كان له بها من مركز مرموق راعياً فى العودة إلى المشرق وهو الأمر الذى يسترعى الانتباه - على حد قول الأستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد بعد أكثر

محمد إلى مخاطبة أخيه عمر صاحب بلاد صنهاجة وغمارة يأمره بمحاربة أخيه عيسى، فامتثل عمر لأمره، وحشد جيشاً كبيراً من البربر، وسار نحو أخيه عيسى، فلما اقترب عمر من أحواز سلا كتب إلى أخيه الإمام يستمده فأمدّه بألف فارس من قبائل زناته، وتمكن من إلحاق الهزيمة بأخيه عيسى وأخرجه عن مدينة سلا وأعمالها، وكتب عمر إلى أخيه الإمام بهذا الانتصار، فكتب له الإمام محمد يشكره على ما قام به، ويوليه على ما فتحه من أعمال عيسى، ويأمره بالمسير إلى قتال أخيه القاسم الذي عصى وأمتنع عن حرب أخيه عيسى، فسار عمر بجيوشه لقتال القاسم فلما نزل على مقربة من مدينة طنجة، خرج القاسم للقائه، ودارت بينهما معارك عديدة، هُزم فيها القاسم، وضم عمر بلاد أخيه القاسم إليه، أما القاسم، فقد سار إلى ساحل البحر المتوسط، فتزهد وبنى مسجداً ورباطاً مما يلي مدينة

من أربعين سنة من استقرار الإدارة في المغرب وهذه الأبيات:

سأترك للراغب الغرب نهياً	وإن كنت في الغرب قتيلاً وندياً
وأسمو إلى الشرق في همة	يعز بها رُتباً من أحبا
وأترك عيسى على رايه	يعالج في الغرب همّاً وكرباً

راجع: ابن الأبار، الحلة السيرا، ج ١، ص ١٣٢، سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج ٢، ص ٤٦٠.

أصيلا^(١)، وهكذا خضعت سلا لحكم عمر بن إدريس بن عبد الله العلوي^(٢). واستمر الأدارسة يتناوبون حكم مدينة سلا إلى أن انتزعها منهم موسى بن أبي العافية المكناسي^(٣) عام ٣١٧هـ (١٩٢٩م) ثم صارت سلا عاصمة ملك بني يفرن^(٤).

(١) أصيلا مدينة صغيرة تقع على ساحل المحيط الأطلسي ومعناها بالبربرية المكان الجميل، وينسب إليها الكثير من العلماء، ويرجع تأسيسها إلى العصر القرطاجني، وقد اهتم الأدارسة ببنائها وجعلوها مركزاً لدولتهم في شمال المغرب إلى جانب قلعة حجر النسر، ويصفها صاحب الاستبصار: "كانت مدينة كبيرة أزلية عامرة أهلة كثيرة الخير والخصب وكان لها مرسى مقصود". راجع: البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص ١١١-١١٣؛ ياقوت الحموي (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي): معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج ١، ص ٢٣٥؛ مؤلف مجهول، الاستبصار، ص ١٢٩؛ ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، الاسكندرية، ١٩٨٣م، ص ١٠٤.

(٢) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص ١٢٤؛ ابن أبي ذرع، روض القرطاس، ص ٥١، ٥٢؛ ابن القاضى، جذوة الاقتباس، ق ١ ص ٢٠٣، ٢٠٤؛ سالم، المغرب الكبير، ص ٤٨٠، ٤٨١؛ سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج ٢، ص ٤٥٨-٤٦٠.

(٣) هو موسى بن أبي العافية بن أبي باسيل بن أبي الضحاك بن تامريس ابن إدريس بن وليف بن مكناس بن سطيف المكناسي، ملك معظم أنحاء المغرب الأقصى في أوائل القرن الرابع الهجري وأعلن الولاء والطاعة للخليفة عبد الرحمن الناصر في الأندلس، فزحف إليه ميسور الفتى قائد الخليفة الفاطمي القائم، وتمكن من إلحاق الهزيمة بموسى وأجلاه عن أعمال المغرب إلى الصحراء، ولم يزل موسى شريداً إلى أن قتل ببعض بلاد ملوية سنة ٣٤١هـ (٩٥٢م). راجع: ابن الخطيب، أعمال الاعلام، القسم الثالث، ص ٢١٣-٢١٤؛ القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٢٨٣هـ، ج ٥، ص ١٨٢-١٨٤.

(٤) بنو يفرن بطن من بطون قبيلة زناتة البربرية، كانت مواطنهم الأصلية بأفريقية ما بين تلمسان وتاهرت، ومن أبرز زعمائهم أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى صاحب الثورة الشهيرة ضد الدولة الفاطمية، ويعلى بن محمد اليفرنى الذى دعا للخليفة عبد الرحمن الناصر واستولى على وهران=

استمر الصراع بين بنى يفرن أصحاب سلا وبين بنى زيرى بن عطية

المغراوي أصحاب فاس^(١)، ففي عام ٤٢٤هـ (١٠٣٣م) أعلن

= سنة ٢٤٣هـ (٩٥٤م) ثم بسط نفوذه غريباً فاستولى على فاس، وفي سنة ٣٤٩هـ (٩٦٠م) خرج جوهر الصقلي قائد جيوش الخليفة المعز لدين الله الفاطمي إلى بلاد المغرب، فلما اتصل خبر قدومه بـعلي بن محمد اليفرنى حشد بنى يفرن وجميع قبائل زناته وتلقاه على مقربة من تاهرت، فكانت بينهما حروب شديدة، وتمكن جوهر من قتل علي وقطع رأسه وأرسلها إلى مولاه المعز بالقيروان، فولى بعده ابنه يدو بن علي، وكانت بينه وبين زيرى بن عطية المغراوي حروب عنيفة، فكان إذا انتصر يدو دخل فاس وتملكها، وإذا انتصر زيرى أخرجه عنها إلى أن انتهى الأمر بهزيمة يدو بن علي ومقتله سنة ٣٨١هـ (٩٩١م) وبعث زيرى بن عطية برأسه إلى المنصور محمد ابن أبي عامر في الأندلس، فانسحب بنو يفرن إلى سلا واستقروا فيها واتخذوها عاصمة لدولتهم في بلاد المغرب الأقصى.

راجع: ابن عذراي، البيان المغرب، ج١، ص ١٦٢، ١٦٤؛ مؤلف مجهول (الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، ١٩٧٩م ص ١٢؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، القسم الثالث، ص ١٦٤، ١٦٥؛ السلاوي الناصري، الاستقصا، ج٢، ص ١٨.

(١) ينتسب زيرى بن عطية المغراوي إلى قبيلة مغراوة إحدى بطون زناته وكان قد ساعد المنصور محمد بن أبي عامر في إخماد الثورة العلوية التي قام بها الحسن بن كنون وأعوانه الزناتيين من بنى يفرن، وقد كافاه المنصور على ذلك بأن ولاء حكم بلاد المغرب فصار له الرياسة في قبائل زناته وينسب إلى زيرى بن عطية بناء مدينة وجدة سنة ٣٨٤هـ (٩٩٤م) وجعلها عاصمة لدولته المغراوية. وقد حرص زيرى على إظهار ولائه للدولة الأموية وإرسال الهدايا إلى الحاجب المنصور ابن أبي عامر غير أن هذه العلاقات الطيبة لم تلبث إن تغيرت فجأة في آخر زيارة قام بها زيرى ابن عطية للأندلس، فقد ذكر المؤرخون أنه لما جاز إلى المضيق عائداً إلى وطنه واستوت قدمه على أرض طنجة، تعمم وخاطب بلاده مرحباً: "الآن علمت أنك لي" وهذه العبارة تدل على عزمه الاستقلال ببلاده عن السيادة الأموية في الأندلس، وفي عام ٣٨٦هـ (٩٩٦م) أعلن زيرى ثورته على المنصور وطرد عماله من جميع بلاد المغرب ماعدا القواعد الأموية المطلة على المضيق مثل سبتة وطنجة ومليلة؛ فقرر المنصور تأديبه وأرسل جيشاً كبيراً لقتاله جعل على قيادته واضح الفتى العامري وقد تعرض واضح للهزيمة فأمدد المنصور بابنه عبد الملك المظفر الذي نجح في =

ابو الكمال تميم بن زيرى اليفرنى الثورة فى سلا وزحف لملاقاة حمامة ابن المعز بن زيرى فى فاس، فكانت بينهما حروب عنيفة، انهزم فيها حمامة وفر إلى مدينة وجدة،^(١) فدخل تميم اليفرنى مدينة فاس فى شهر جمادى الآخرة سنة ٤٢٤هـ (أبريل ١٠٣٣م) وأوقع باليهود فيها، فقتل منهم نحواً من ستة آلاف يهودى وانتهب أموالهم.^(٢)

= ايقاع الهزيمة بزيرى بن عطية، ولكنه كتب إلى المنصور يتقرب إليه ويسترضيه فعفا عنه وأعادته لولاية المغرب، ثم مات زيرى سنة ٣٩١هـ (١٠٠١م) وخلفه ابنه المعز بن زيرى، فلما تولى المعز فى جمادى الأول ٤٢٢هـ (أبريل - مايو ١٠٣١م) خلفه ابنه حمامة.

راجع: مؤلف مجهول (نبذ تاريخيه فى أخبار البربر فى القرون الوسطى منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر، اعتنى بنشرها وتصحيحها ليفى بروفنسال، الرباط، ١٩٣٤، ص ٢٧، ٢٨، السلاوى الناصرى، الاستقصا، ج ١، ص ٢١٠-٢١١؛ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام فى الأندلس، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٦٩، العصر الأول، القسم الثانى، ص ٥٤٥-٥٥٥؛ أحمد مختار العبادى: فى تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، ١٩٧٤م، ص ٢٣٦، ٢٣٧.

(١) أسست مدينة وجدة عام ٣٨٤هـ (٩٩٤م) على يد زيرى بن عطية المفاوى وابتنى بها قصبة منيعة وقصرًا، وأحاطها بأسوار ضخمة، ونقل إليها أمواله ونخائره وأخذها قاعدة الحكم سنة ٣٨٦هـ (٩٩٦م) لموقعها المتوسط بين المغربين الأوسط والأقصى، وقد دمرت هذه المدينة فى عام ٦٧٠هـ (١٢٧١م) على يد قوات السلطان المنصور المرىنى بعد معركة نشبت بينه وبين بنى عبد الواد بأحوازها، ثم أعاد ابنه السلطان يوسف بن يعقوب تعمير هذه المدينة فى عام ٦٩٦هـ (١٢٩٦م).

راجع: ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص ١٣٢، الحسن الوزان، وصف أفريقيا، ص ١٢، ١٣، السلاوى الناصرى، الاستقصا، ج ١، ص ٩٢.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثالث ص ١٦٥، ١٦٦ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص ٤٦، ابن القاضى، جذوة الاقتباس، ق ١، ص ١٧٢.

أقام تميم بن زيرى اليفرنى بمدينة فاس سبعة أعوام بينما ظل
حمامة بن المعز بن زيرى بن عطية يتحين الفرص للزحف على فاس فأعد
لذلك جيشاً ضخماً، كما كتب إلى قبائل مغراوة، فاجتمعوا عليه، وزحف
بحشوده إلى فاس ودخلها وتملكها، بينما فر تميم بن زيرى اليفرنى إلى
سلا وذلك سنة ٤٣١هـ (١٠٣٩م). (١)

(١) ابن القاضى، جذوة الاقتباس، ق ١، ص ١٧٢.

سلا في عصر المرابطين

توفي تميم بن زيري بن تميم اليفرنى بمدينة سلا سنة ٤٤٨هـ (١٠٥٦م) وخلفه عليها ولده محمد. وفي سنة ٤٦٦هـ (١٠٧٣م) سير أمير المسلمين المرابطى يوسف بن تاشفين^(١) قائده الشهير أبو محمد

(١) أبو يعقوب يوسف بن تاشفين هو المؤسس الحقيقى لدولة المرابطين وقد ولد في الصحراء في سنة ٤٠٠هـ (١٠٠٩م). بيد أننا لانعرف شيئاً عن حياته ونشأته الأولى، وتذكره الرواية التاريخية لأول مرة في سنة ٤٤٨هـ (١٠٥٦م) حينما ندبه الأمير أبو بكر اللمتونى ليكون قائداً لجيش المرابطين الزاحف لغزو المغرب، ولما وقع الخلاف بين لمتونة ومسوفة وخشى الأمير أبو بكر بن عمر اللمتونى أن يتفاقم الأمر بين القبائل الشقيقة، قرر أن يعود إلى قومه، فوكل شئون المغرب لابن عمه يوسف بن تاشفين ونزل له عن زوجته زينب بنت إسحاق النفزاوية بعد أن طلقها وتزوجها يوسف. وقد قام يوسف بن تاشفين بجهد كبير في فتح بلاد المغرب ثم لبى نداء أهل الأندلس وعبر إليهم وأحرز انتصاره الكبير في وقعة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ (١٠٨٦م)، وتمكن من التخلص من ملوك الطوائف وأقام امبراطورية مرابطية ضمت بلاد المغرب والأندلس وقد توفي سنة ٥٠٠هـ (١١٠٦م).

- عن قيام دولة المرابطين في المغرب والأندلس ودور يوسف بن تاشفين.

راجع: البكرى، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص ١٦٤-١٧٠؛ ابن عذراى، البيان المغرب، الجزء الرابع الخاص بالمرابطين ١ - ٥٠؛ ابن أبى زرع، روض القرطاس، ٨٢ - ١٠٩؛ مؤلف مجهول، الحلال الموشية، ص ٨ - ٥٧؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ق ٣، ص ٢٢٦ - ٢٤٠؛ ابن خلدون، العبروديان المبتدا والخبر، ج ٦، ص ٣٨٣ - ٣٨٠؛ سالم، المغرب الكبير ص ٦٩١ - ٧٣٠. Dozy (R.) Histoire des Musulmane d'Espagne, Three vols, Ley de, 1932, vol, III, P.124 - 153. Miranda (Ambrasio Huici). La invasion de los Almoravides y la batalla de zalaco, Hesperis, Annee, 1953, Tome, XL, Paris, P.26 -40.

مزدلى^(١) إلى مدينة سلا على رأس جيش كبير فأفتتحها^(٢).
ومن المرجح أن مدينة سلا قد تعرضت للتخريب مراراً أثناء الحروب
التي دارت بين المرابطين وبين البرغواطيين، فقد زارها الجغرافى الإدريسى
فى العصر المرابطى ووصفها بقوله: "فهى الآن خراب وبها بقايا بنيان قائم
وهياكل سامية، ويتصل بخرابها عمارات متصلة وزدوع ومواشى لأهل سلا
الحديثة^(٣)". ويؤكد ذلك إغفال ذكرها طوال عصر المرابطين فيما عدا تغريب

(١) هو القائد المرابطى المشهور أبو محمد مزدلى بن سلنكان الذى استرجع للإسلام مدينة بلنسية سنة
٤٩٥هـ (١١٠١م) بعد أن استولى عليها السيد القنبيطور نحو ثمانى سنوات، وقد تقلب مزدلى فى
مختلف المناصب فحكم غرناطة وقرطبة والمرية سنة ٥٠٤هـ (١١٠٩م) وظل يقود الحملات لجهاد
المسيحيين القشتاليين حتى استشهد أخيراً فى ميدان القتال فى شوال سنة ٥٠٨هـ (مارس
١١١٥م) وذلك بعد حملته المظفرة التى دوخ فيها طليطة واكتسح بسائطها سنة ٥٠٧هـ (١١١٤م).
عن مزدلى راجع: ابن عذراى، البيان المغرب، الجزء الخاص بالمرابطين، ص ٤١-٥٨؛ ابن
أبى زرع، روض القرطاس، ص ١١٠-١١٣؛ ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك التوزى) تاريخ
الأندلس، وهو قطعة من كتاب الاكتفاء فى أخبار الخلفاء، تحقيق د. أحمد مختار العبادى،
منشورات معهد الدراسات الإسلامية بمديرى، ١٩٧١، ص ١١٠، ١١٢، ١٢١.

(٢) ابن عذراى، البيان المغرب، ج ٤، ص ٢٦، ٢٧؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ق ٢، ص ١٦٦.

(٣) الإدريسى، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص ٧٢.

النصارى المعاهدين إليها،^(١) ونزول محمد بن تومرت بها.^(٢)

(١) جاء قرار تغريب النصارى المعاهدين كرد فعل للحملة العسكرية التي قام بها الفونسو السابع (المحارب) ملك أرغون ضد أراضى المسلمين استجابة لنداء النصارى المعاهدين فى غرناطة، إذ التمسوا منه غزو الأندلس وتعهدوا له ببذل العون الصادق والعمل كمرشدين ومحاربين ووجهوا إليه زماماً يشتمل على اثنى عشر ألف مقاتل، كما وعدوه عند وصوله إلى حضرتهم بأن ينضم إلى جيشه جميع المعاهدين فى بلادهم، فخرج الفونسو المحارب من سرقسطة فى أول شعبان سنة ٥١٩ هـ (الثانى من سبتمبر سنة ١١٢٥م) واخترق شرق الأندلس مروراً ببلنسية ودانية وشاطبة ومرسية ثم اتجه نحو جنوب الأندلس وواصل زحفه إلى غرناطة إلا أنه فشل فى دخولها ثم أحرز نصراً عسكرياً محدوداً على جيوش المرابطين عند فحص الرينسول ثم قرر فجأة العودة إلى بلاده بعد أن تبين له أن حملته لم تحقق الهدف منها وأن عسكريه قد أصيبوا بخسائر جسيمة خلال المعارك التي خاضتها قواته مع قوات المرابطين بالإضافة إلى الأمراض التي سببتها برودة الشتاء القاسية. وقد أثبتت هذه الحملة أن المعاهدين النصارى الذين كانوا يتعايشون مع المسلمين فى ذمة الإسلام وفى ظل سياسة التسامح التي كان يطبقها المسلمون منذ الفتح أنهم كانوا منافقين غير مواليين للمسلمين، وأنهم يبذلون العون والنصرة لملك أرغون وأنهم قد خانوا العهد ونكثوا بولائهم للمسلمين، وكان طبيعياً أن يتفرغ لهم أولو الأمر بعد انسحاب الفونسو المحارب إلى بلاده، فيعاقبونهم بما يستحقون من عقاب ممتثلين للنبي صلى الله عليه وسلم عندما خانه بنو قريظة اليهود، وهكذا أفتى الفقيه أبو الوليد ابن رشد بتغريبهم ونفيهم إلى المغرب، فآثر أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين هذه الفتوى، وصدر عهده إلى جميع مدن الأندلس بتغريب النصارى المعاهدين إلى المغرب.

عن تغريب النصارى المعاهدين راجع: ابن عذارى، البيان المغرب، ج٤، ص ٦٩-٧٣، مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص ٦٩ - ٧٠؛ ابن الخطيب، الإحاطة فى أخبار غرناطة نشر الأستاذ محمد عبد الله عنان فى أربعة أجزاء، القاهرة، ١٩٧٣-١٩٧٧م، ج١، ص ١٠٩-١١٤؛ أشباح، تاريخ الأندلس فى عصر المرابطين والموحدين ترجمة الأستاذ محمد عبد الله عنان، القاهرة، ١٩٥٨، ص ١٤٨-١٥٠؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس، القاهرة، ١٩٦٤، الجزء الأول عصر المرابطين، ص ١٠٦-١١٤.

Simonet: Historia de los Mozarabes de Espana, Madrid, 1897, P.520 - 550 y Mozaralics y juaderios de los ciudades Hispano Musulmanas, AL-Andalus, vol, XIX, 1954; Fasc,1, P.173-175.

(٢) ينفرد البيذق بالإشارة إلى نزول المهدي محمد بن تومرت بسلا ولم يحدد تاريخ نزوله، إذ أشار=

أما سلا الحالية فيبدو أن نشأتها ترجع إلى عصر الموحدين، فقد قطن بها البربر بعد عصر سراج الموحدين عبد المؤمن بن علي، وكان مجيئهم من أفريقية، فأنشأوا بها البساتين وعلموا أهلها طرق الري وغرسة البساتين، وبدأت أهمية سلا تزداد منذ أن أظهر الخليفة الموحدي يعقوب المنصور عنايته بتعميرها.(١)

= إلى نزوله عند الفقيه القاضي أحمد بن عشرة، وكان يأتيه الكثير من طلاب العلم، يأخذون عنه العلم ويأمرهم أن يأمرؤا الناس بالمعروف وينهون عن المنكر، وقد أقام بسلا أياماً ثم ارتحل منها إلى مراكش.

راجع: الببذق (أبو بكر بن علي الصنهاجي): أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، الجزائر، ١٩٧٤م، ص ٥٤، ٥٥. وانظر أيضاً:

Miranda (Huici): Historia Politica del imperio Almohade, Tetuan, 1956. Vol, 1, P.51 -52.

(١) مؤلف مجهول، الاستبصار، ص ١٤٠.

سلا فى عصر الموحدين:

واصل الموحدون سلسلة انتصاراتهم على المرابطين وإن كانت كلفتهم كثيراً طوال حياة أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ - ٥٣٧هـ/١١٠٦ - ١١٤٣م) لمحبة الناس له وعظم هيئته فى نفوس المرابطين، ثم جاءت وفاته سنة ٥٣٧هـ (١١٤٣م) بداية لنهاية دولة المرابطين، فلم يمض عامان حتى كان بنيانها قد انهار من أساسه فعلى الرغم من المحاولات اليائسة التى كانت يبذلها تاشفين بن على بن يوسف (٥٣٧ - ٥٣٩هـ/١١٠٦-١١٤٥م) الذى خلف أباه فى رئاسة المرابطين، وعلى الرغم من ضروب الشجاعة والإقدام التى اتصف بها فى معاركه التى خاضها ضد قوى الموحدين طوال الفترة القصيرة التى قضاها فى الإمارة وجملتها سنتان، فإن الصدع كان من العمق بحيث لم ينفع فيه علاج، وكان من الممكن أن يمتد أمر المرابطين لو أن العمر طال به أكثر من ذلك ولكنه لسوء طالع المرابطين خرب صريعاً فى عام ٥٣٩هـ (١١٤٥م) وبوفاته إنهارت مقاومة المرابطين فى بداية عهد ولده الأمير أبى اسحاق ابراهيم بن تاشفين آخر أمراء دولة المرابطين إذ تمكن الموحدون من الاستيلاء على كثير من مدن المغرب.

سار عبد المؤمن بن علي^(١) من مكناسة^(٢) إلى مدينة سلا، فلما وصلها امتنع أهلها عن الدخول في طاعته، وأغلقوا أبواب مدينتهم وتحصنوا خلف أسوارها، ومن المرجح أن الخيانة قد لعبت دورها في فتح الموحدين

(١) ولد عبد المؤمن بن علي في قرية تاجرا من أعمال تلمسان في عام ٤٨٧هـ (أوائل عام ١٠٩٥م) وينتسب إلى قبيلة كومية البربرية، وقيل أن والده كان قاضياً وذكر بعضهم أنه كان فخاراً. وفي قرية تاجرا قضى عبد المؤمن طفولته وشبابه ولها تلقى بعض العلوم الدينية وقد دفعه تعطشه لتحصيل العلوم إلى التفكير جدياً في الرحيل إلى المشرق، وقرر عمه أن يصحبه فخرجا معاً إلى بجاية أحد ثغور المغرب الأوسط ليستقلا مركباً إلى المشرق وهناك نزلا بمسجد الريحانة من مساجدها، وسمعا الناس يتحدثان عن محمد بن تومرت ذلك الفقيه السوسى، فسأل عبد المؤمن عمه أن يسمح له برؤيته وسماعه، فأذن له بالسير إليه، فسأله ابن تومرت عن شخصه وعن أحواله، ولما وقف على مقصده، قال له إن العلم والشرف والذكر التي يطلبها موجودة وأنها تنال بصحبته، ودعاه إلى معاونته فيما هو قائم به، ومنذ هذا التاريخ أقام عبد المؤمن بن علي ملازماً لابن تومرت، يؤازره في دعوته ويشاطره مصيره أينما حل، وقد أطلق عليه ابن تومرت لقب سراج الموحدين، ولما توفي المهدي بن تومرت سنة ٥٢٤هـ (١١٣٠م) خلفه عبد المؤمن بن علي الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين في المغرب والأندلس.

راجع: البيهقي، أخبار المهدي بن تومرت ص ٥١ - ٥٦؛ ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الجزري): الكامل في التاريخ، القاهرة، ١٣٥٧هـ، ج ٨، ص ٢٩٥ - ٢٩٧؛ المراكشي (عبد الواحد بن علي). المعجب في تلخيص أخبار المغرب، نشر الأستاذان محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، القاهرة، ١٩٤٩م، ص ١٩٤ - ١٩٧؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ١٢٩ - ١٣١؛ ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ٤٧٢، ٤٧٣.

(٢) تعتبر مكناسة من بين أشهر مدن المغرب، وتقع جنوب غرب فاس على مقربة من جبل زرهون، وعلى مكان مرتفع عن سطح البحر تحيط به أشجار الزيتون والكروم. وكانت نواتها الأولى هي مدينة تاكرارت ومعناها المدينة العسكرية التي بناها المرابطون للإشراف على منطقة مكناسة، ثم ازدهرت أيام بني مرين الذين أسسوا فيها المساجد والحصون. راجع: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثالث، هامش (١) ص ١٦٩.

لمدينة سلا، إذ يروى ابن عذراى أن فتح سلا كان بفضل رجل يسمى يبورك وابنيه محمد وعلى، ومن المرجح أنهم كانوا من أبناء سلا، فراسلوا الموحدين سراً، ودعاهم للوصول إلى مدينتهم ليلاً وصنعوا لهم سلالاً، فصعدوا بها على أسوار سلا فى حين غفلة من القائمين على حراستها، فقتلوا كل من وجدوه على السور، ودخل عبد المؤمن بن على سلا فى السابع من ذى الحجة سنة ٥٤٠هـ (مايو سنة ١١٤٦م) وأمن أهلها ورتب أحوالها واستولى على قصبتها التى كان بناها تاشفين بن على بن يوسف، كما أمر بتخريب أسوارها وأقام بها أربعة أيام حيث صلى فيها صلاة عيد الأضحى، وولى عليها عبد الواحد الشرقى^(١) ومن بين الشخصيات الكبيرة التى استقبلها عبد المؤمن بن على خلال وجوده فى مدينة سلا القاضى عياض بن موسى الإحصبى قاضى سبتة^(٢)، وكان من أعظم فقهاء العصر وعلمائه، فقد سار للقاء عبد المؤمن بن على بسلا: "فأكرمه عبد المؤمن بن على وأجزل

(١) عن فتح عبد المؤمن بن على لسلا راجع:

ابن عذراى، البيان المغرب، ج٥، ص٢٥، وانظر أيضاً مؤلف مجهول، نبذ تاريخية فى أخبار البربر فى القرون الوسطى منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر، نشره ليفى بروفنسال، الرباط، ١٩٣٤، ص٥٩؛ النويرى (أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدايم البكرى التميمى القرشى) نهاية الأرب فى فنون الأدب، الجزء الثانى والعشرون نشر جاسبار راميرو، غرناطة، ١٩١٦ - ١٩١٧، ص١٩٩؛ مؤلف مجهول، الحل الموشية، ص١٣٦، ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٣٢، الزركشى (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللؤلؤى): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تونس، ١٢٨٩هـ، ص٨؛ السلاوى، الاستقصا، ج٢، ص١٠٨، عنان، عصر المرابطين والموحدين، القسم الأول عصر المرابطين، ص٢٥٩؛ حركات، تاريخ المغرب، ص٢٦٨؛ السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص٥١.

Miranda, Historia Politica, vol, 1, P.70.

(١) أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض الإحصبى السبتى المعروف =

صلته، فعاد إلى سبته واستمر في منصبه.(١)

أقامت سلا على طاعه الموحدين إلى قام بها ثائر يُدعى محمد بن عبد الله بن هود(٢) وتسمى بالهادي وادعى الهداية اقتداء بالمهدي محمد بن تومرت، وكان يعمل قصاراً ببحر سلا، بينما كان أبوه دلالاً بسوق سلا، فثار أهل سلا بقيادة ابن هود، وقتلوا عاملهم الموحدي وقدموا عليهم هوداً والد الثائر، بينما اتجه الثائر ابن هود جنوباً ونزل برباط ماسة وذلك في غرة شوال سنة ٥٤١هـ (مارس سنة ١١٤٧م) ولذلك عُرف بالماسي،(٣) فتبعه

== بالقاضي عياض من أشهر الفقهاء والقضاة في عصرى المرابطين والموحدين، وقد ولد في مدينة سبته في شهر شعبان سنة ٤٧٦هـ (١٠٨٣م) تلقى العلم عن أشياخ بلده ثم رحل إلى الأندلس ودرس بقرطبة ومرسية ثم عاد إلى سبته. ولى القضاء وهو بعد شاب لم يتجاوز الثلاثين من عمره، ثم تولى قضاء غرناطة سنة ٥٣٠هـ (١١٣٥م) إلى أن صرف عنه سنة ٥٣٢هـ (١١٣٧م) وعاد إلى سبته، ثم ولى قضاء سبته سنة ٥٣٩هـ (١١٤٥م)، ولما ظهر الموحدون بادر بالدخول في طاعتهم، فأقره عبد المؤمن بن علي على ما كان بيده.

راجع: ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك): الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، جزمأن، القاهرة، ١٩٦٦، ج٢، ص٤٥٣، ٤٥٤؛ ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٧٥م، ج١، ص٤٦٩؛ ابن خاقان (أبو نصر الفتح بن محمد القيسي الاشبيلي): قلائد العقيان في محاسن الأعيان، القاهرة ١٢٨٣هـ، ص٢٢٢-٢٢٦؛ عنان، عصر المرابطين، ص٤٦٢، ٤٦٣.

(١) ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، ج٤، ص٢٢٥.

(٢) يقول البيذق ان اسم هذا الثائر عمر بن الخياط ويلقبونه ببويكندی والظاهر ان هذا الثائر اتخذ حين ثورته اسم محمد بن عبد الله بن هود، وقد حذا في ذلك حذو المهدي محمد بن تومرت الذي تسمى أيضاً باسم محمد بن عبد الله.

راجع: أخبار المهدي بن تومرت، ص١٢١.

(٣) يقول السلوى الناصري ان الماسي كان قد لحق بعبد المؤمن بن علي وبإيعه وشهد معه فتح مدينة مراکش. راجع: الاستقصا، ج٢، ص١١٠.

كثير من القبائل: " واجتمعوا عليه اجتماعاً طار به الذكر فى الآفاق، وقامت بدعوته أمم لاتحصى، واتصلت دعوته فى جميع أقطار العدو، حتى لم يبق منها إلا مراكش وفاس. " فلما أحس عبد المؤمن بن على بخطورة ثورة الماسى، أرسل جيشاً كبيراً لإخمادها ولكن هذا الجيش تعرض لهزيمة عنيفة، فأعد عبد المؤمن بن على جيشاً آخر بقيادة الشيخ أبو حفص عمر ابن يحيى الهنتاتى،^(١) يضم عدة من أشياخ الموحدين وطائفة كبيرة من الروم^(٢) والرماة، وقد خرج هذا الجيش الموحدى من مدينة مراكش فى غرة ذى القعدة سنة ٥٤١هـ (أبريل سنة ١١٤٧م) وخرج عبد المؤمن بن على

(١) أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتى المعروف بعمر ينتى شيخ قبيلة هنتاتة إحدى بطون مصمودة التى قامت على أكتافها دولة الموحدين وكان أبو حفص من كبار القائمين بدعوة المهدي بن تومرت ومن كبار المشيدين لسلطان الموحدين فى المغرب والأندلس، وكان من بين من عقنوا الأمر لعبد المؤمن بن على، كما أنه فتح للموحدين كثيراً من بلاد الأندلس مثل الجزيرة الخضراء ورنده وإشبيلية وقرطبة وغرناطة، وقد توفى فى الطاعون الذى أصاب بلاد المغرب والأندلس سنة ٥٧١هـ (١١٧٥م) وهو جد الحفصيين حكام افريقية أو البلاد التونسية.

راجع: البيهقي، أخبار المهدي بن تومرت، ص ٣٣، ٧١، ٩٥، ٩٧، ١٠٦، ١٠٩، ١٢١، ١٢٦؛ المراكشى، المعجب، ص ١٩٤، ١٩٩، ٢٢٤، ٢٦٢، ٣٣١؛ ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص ١١٣؛ مؤلف مجهول، الحلل المشية، ص ٨٨، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ابن خلدون، العبر، ج ٢، ص ٢٢٦، ٢٢٩،

٢٧٥، ٢٧٦؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، ج ٢، ص ١٣٥.

Miranda, Historia politica del imperio-Almohade, Vol, 1, P.205, 222, 236, 239, 243, 269, 274, Vol, 2, P.391-394.

(٢) عاشت طائفة كبيرة من الروم بأرض المغرب الأقصى نتيجة للمعارك التى خاضها المرابطون والموحدون بالأندلس والتى أسفرت عن كثير من الأسرى استخدمهم ولاية الأمر فى خدمتهم بالمغرب الأقصى وخاصة فى الجيش حتى يستفيدوا من خبرتهم العسكرية.

راجع: حركات، المغرب عبر التاريخ، ج ١، ص ٢٢٣.

بنفسه لوداع هذا الجيش، وسار الجيش الموحدى حتى وصل إلى رباط ماسة فى شهر ذى الحجة (مايو -سنة ١١٤٧م)، وكان جيش الماسى يضم نحو الستين ألفاً بينهم سبعمائة من الفرسان، بينما كان الجيش الموحدى يضم ستة آلاف فارس ومثلهم من الرجال، وحدث اللقاء بين الجيشين يوم الخميس السادس عشر من ذى الحجة سنة ٥٤١هـ (السابع من مايو سنة ١١٤٧م) ودارت بينهما معارك عنيفة، انتهت بانتصار الموحدى وقتل محمد بن عبد الله بن هود على يد الشيخ أبو حفص عمر، فلقبه الموحدون بسيف الله تشبيهاً له بخالد بن الوليد، ومزق جيش الماسى شر ممزق، وحمل الموحدون جثته إلى مراكش حيث صلبت على باب الشريعة من أبواب مدينة مراكش.(١)

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، حـ، ص ٣٠، ٣١، مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص ١٤٦، ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ١٤٩، ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ٢٣٢، السلوى الناصرى، الاستقصا، ج ٢، ص ١١٠، ١١١، عنان، عصر المرابطين، ص ٢٦٩، ٢٧٠، حركات، المغرب عبر التاريخ، ج ١، ص ٢٦٨.

Miaranda, Historia Politica, Vol, 1, P.189.

ظلت سلا على عصيانها رغم اخماد عبد المؤمن بن علي لثورة محمد بن عبد الله بن هود، إذ كان لازال بها والد الثائر الماسي، ففي تلك الفترة، فر يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين الملقب بالصحراوي أو ابن الصحراوية من فاس عقب سقوطها في أيدي الموحدين إلى سبتة، ويروي البيهقي أن هذا القائد الصحراوي حينما فر إلى مدينة سبتة، أرسل الخليفة عبد المؤمن بن علي وراءه صاحب البحر أبو الحسن علي بن عيسى بن ميمون الذي كان قائداً لأسطول المرابطين ثم انضم إلى الموحدين، فحاصر ابن ميمون سبتة بأسطوله، فخرج إليه الصحراوي، وقال له: أريد أن يكون توحيدى على يدك يا أبا الحسن، فقال له: نعم أحملك إلى الخليفة، فلما أنس له ابن ميمون، نزل من سفينته، وأراد الجلوس معه، ولكنه لمح في وجه الصحراوي الغضب فلما أراد العودة إلى سفينته وثب به الصحراوي وقتله (١)، ثم اتجه الأخير إلى مدينة طنجة، ولكنه وجدها على أهبة الاستعداد للدفاع عن نفسها فغادرها إلى مدينة سلا- وكان بها كما سبق أن أشرت والد الثائر الماسي- ورغم عصيان سلا، إلا أن الثائر الماسي لم يكن من انصار المرابطين، فحدث الصدام بينه وبين الصحراوي، فقام الأخير بقتله وقطع رأسه ورماه في البحر سنة ٥٤٣هـ (١١٤٨م) وأخضع سلا لنفوذه وسلطانه. وكان يحيى الصحراوي جندياً عظيماً وفارساً جريئاً، وكان يعتزم أن ينزل إلى ميدان تضطرم فيه الثورة ضد الموحدين، وكانت المنطقة الساحلية الممتدة من سلا جنوباً حتى أراضي برغواطية منطقة لمقاومة الدعوة الموحدية ومحاولة تحطيمها، والظاهر أن البرغواطيين قد عادوا إلى الظهور مرة أخرى بعد تغلب

(١) أخبار المهدي بن تومرت، ص ١٠٦-١٠٧؛ المراكشي، المعجب، ص ١٩٩-٢٠٠

المرابطين عليهم على أيام يوسف بن تاشفين، فحاربهم عبد المؤمن بن علي، فاستنصروا بيحيى بن أبي بكر الصحراوي، فنزل الصحراوي إلى هذا الميدان واجتمعت إليه الكثير من القبائل البربرية المعارضة للموحدين، فلما علم عبد المؤمن بهذه الحشود الضخمة بعث لقتالهم القائد يصلاح بن، فسار إلى سلا ودخلها بالسيف وعهد بولايتها إلى موسى بن زيري الهنتاتي، ويشير ابن عذراى إلى أن أهل سلا أرسلوا وفداً إلى مراکش لإعلان الطاعة والولاء للموحدين، فاشتراط عليهم عبد المؤمن بن علي بهدم سور مدينتهم، فهدم، فصفح عن دمائهم.^(١)

أصبحت سلا مركزاً لتجميع الجيوش الموحدية سواء الزاهية منها إلى إفريقية أو تلك التي تقصد العبور إلى الأندلس، وكانت المنطقة الواقعة شمالاً فيما بين سلا وسبتة تحتوى عدة مراكز كبيرة لتخزين المؤن اللازمة لإمداد الجيوش الزاهية والعائدة، ولذلك أصبحت سلا موضع اهتمام ورعاية من جانب خلفاء الموحدين. ففي عام ٥٤٥هـ (١١٥٠م) تحرك عبد المؤمن بن علي من مراکش إلى سلا ليستطلع منها أحوال الأندلس، وأمر أن تنشأ قسبة وقصر فوق اللسان الممتد في البحر أمام سلا، وبأن ينشأ سرب يستمد الماء من عين غبولة القريبة لإمداد المحلة الموحدية، وأمر بإحضار العمال وأجرى الماء حتى أوصله إليها في شهرين فقط، وقد مكث الخليفة خلال هذه الزيارة بسلا خمسة شهور، وقد أمر عبد المؤمن بن علي باستدعاء وفود أهل الأندلس، فوصلوا إلى سلا نحو الخمسمائة فارس من الخطباء والفقهاء والقضاة والأشياخ والقواد، فخرج لاستقبالهم الوزير أبو إبراهيم إسماعيل الهزرجي^(٢) والوزير أبو حفص عمر الهنتاتي والوزير

(١) راجع التفاصيل في ابن عذراى، البيان المغرب، حـ، ص ٣٥ - ٣٧، عنان، عصر المرابطين، ص ٢٧٣، ٢٧٤.

(٢) أبو إبراهيم إسماعيل بن يسلاى الهزرجي، وكان من طلبة المهدي، ثم عهد إليه المهدي بالقضاء والقيادة العسكرية، وكان أحد من عقدوا البيعة لعبد المؤمن بن علي بعد وفاة المهدي بن تومرت، وإليه يرجع الفضل في إخماد ثورة عبد المؤمن في صفروى، ويذكر عبد الواحد المركشى من أخباره إنقاذه لابن تومرت من مؤامرة حيكت لاغتياله، وكذلك فداه لعبد المؤمن بن علي بمبيته في خبائه ومصرعه على يد بعض من انتم به=

الكاتب أحمد بن عطية^(١) وأشياخ الموحدين على نحو الميلى من سلا، وأنزلوهم خير منزل وأضافوهم خير ضيافة، ثم سمح لهم بالدخول على عبد المؤمن بن على بعد ثلاثة أيام وذلك يوم الجمعة غرة المحرم سنة ٥٤٦هـ (العشرون من أبريل سنة ١١٥١م) وأشار الوزير الكاتب أحمد بن عطية لأهل قرطبة بالتقدم، فتقدم قاضيهم أبو القاسم بن الحاج،^(٢) فوصف سوء أحوال المسلمين وما يعانونه من تهديد النصارى لهم، ثم تلاه أبو بكر بن

= راجع: البيهقي، أخبار المهدي بن تومرت، ص ٣٣، ٧٠، ٧٥، ٨١، ٨٣، ٩٢، ٩٤، ٩٩، ١٢٢، ابن أبي ذرع، روض القرطاس، ص ١١٤؛ عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، مؤلف مجهول، الخلل المرشية، ص ٨٨؛ السلاوي الناصري، الاستقصا؛ ج ٢، ص ٩٦، ١٠٧. Miranda, Historia Politica, Vol, 1, P.59, 102, 103, 110, 126, 135, 172, 28, Vol, 11, P.592, 607, 609.

(١) أبو جعفر أحمد بن جعفر بن محمد بن عطية القضاة المراكشي، ولد بمدينة مراكش وأصله من قرية بناحية طرطوشة بالاندلس، كان من كبار الأدباء والكتاب أيام المرابطين، فقد تولى الكتابة لعلى بن يوسف بن تاشفين، ثم لما سقطت دولتهم أختفى إلى أن عفا عنه عبد المؤمن بن على واستكتبه ثم استوزره، ثم جرت عليه بعد ذلك محنة انتهت بقتله وأخيه أبي عقيل في أواخر سنة ٥٥٣هـ (١١٥٨م).

راجع: عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص ٢٠٠، ابن الأبار، الحلة السيرة، ج ٢، ص ٢٣٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب، [٢-، ص ٢٦، ٢٧، ٢٥، ٣٦، ٣٧؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ج ٥، ص ٢٧١ - ٢٧٩.

(٢) أبو القاسم إبراهيم بن الحاج أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن خالد بن عمارة الأنصاري، من أهل غرناطة، وبها نشأ ودرس على أعلام عصره بها كما درس بقرطبة ومالقة والمريّة، وكذلك برع في الفقه والحديث وتولى القضاء بعدة جهات في غرناطة، ولما انهارت دولة المرابطين غادر غرناطة إلى قرطبة حيث تولى القضاء بها، ومن قرطبة اتجه إلى ميورقة وظل بها حتى توفي سنة ٥٧٩هـ (١١٨٣م).

راجع: ابن الأبار، التكملة، ج ١، ٣٢٢.

الجد^(١) بخطبه بليغة استحسناها عبد المؤمن بن علي: "ووصل الجميع كلا على قدره، وقضاء حاجاتهم وأوصلهم بما أرادوا وأمرهم بالانصراف إلى بلادهم، فانصرفوا فرحين مغتبطين" بعد أن امتدت إقامتهم في سلا خمسة عشر يوماً^(٢).

وفي نفس العام (٥٤٦هـ/١١٥١م) قرر عبد المؤمن بن علي فتح مدينة بجاية^(٣) لاعتبارات في مقدمتها استيلاء النورمانيين على مدينة المهدية^(٤)

(١) أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرح بن الجد، وأصله من لبلة وبها ولد سنة ٤٩٦هـ (١١٠٢م)، وتلقى بها دراسته الأولى، ثم درس بقرطبة وإشبيلية، ونبغ في دراسة الفقه والحديث، وقدم للشورى بإشبيلية وكان في عصره فقيه الأندلس والمغرب وحافظهما دون منافس ولا منازع كما كان أبرع أهل عصره في التمكن من مذهب مالك، وذاع صيته في المغرب والأندلس، وتبوأ ذروة النفوذ والجاه في ظل الدولة الموحدية، وتوفي بإشبيلية في الرابع من شوال سنة ٥٨٦هـ (١١٩٠م) عن تسعين عاماً. راجع: ابن الأبار، التكملة، ج٢، ص ٢٤٥.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، حده، ص ٤٣-٤٥؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ١٩٢، ٢٦٤؛ ابن خلدون، العبر، ج٢، ص ٢٣٥؛ السلاوي الناصري، الاستقصاء، ج٢، ص ١١٩، عنان، عصر المرابطين، ص ٢٧٩؛ حركات، المغرب عبر التاريخ، ص ٢٣٠.

(٣) بجاية مدينة Bougie بالجزائر من أعمال قسنطينة تقع على ساحل البحر المتوسط، أسس الفينيقيون هذه المدينة، ودعوا صلالة ثم أصبحت رومانية تحت اسم صلاتي ثم خربت بعد ذلك على أيدي الوندال والبربر وبقيت على هذه الحال حتى بناها من جديد الناصر بن علناس بن حماد بن زيري الصنهاجي سنة ٤٥٧هـ (١٠٧٦م) وسماها الناصرية ثم سميت بجاية على اسم القبيلة البربرية التي تخيم حولها، وفي عهد المنصور بن الناصر الحمادي صارت بجاية عاصمة لدولة بني حماد بدلاً من قلعة حماد، فكثر عمرانها وهاجر إليها عدد كبير من أهل الأندلس وعقدت معها الدول الأوربية معاهدات تجارية وقنصلية حتى صارت من أكبر مدن إفريقيا. ثم استولى الموحدون عليها وظلت تحكم حكمهم ثم خضعت للحفصيين.

راجع: البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، ص ٨٢، الإدريسي، صفة المغرب، ص ٦٢، ٦٣؛ ابن الخطيب، أعمال الإعلام، القسم الثالث، هامش (١) ص ٧٦.

(٤) تقع المهدية على ساحل المغرب الأدنى وهي على اسم عبيد الله المهدي أول الخلفاء الفاطميين

سنة ٥٤٣هـ (١١٤٨م) وعيّنهم فساداً في الثغور الإفريقية وسيطرتهم على الشاطئ الأفريقي من مدينة طرابلس الغرب إلى مدينة تونس، وقد أحاط عبد المؤمن على حملته إلى بجاية بالسرية التامة ولكي يضلل أعداءه فيما يتجه إليه وصل إلى مدينة سلا وبعد أيام معدودة اتجه إلى مدينة سبتة موهماً أنه سيعبر إلى الأندلس ولكنه اتجه بجيشه فجأة صوب الشرق، وسار مسرعاً نحو مدينة بجاية واستولى في طريقة إليها جزائر بني مزغنة^(١) وكان يحكمها القائم بن يحيى بن العزيز ولي عهد بجاية، فالتجأ القائم إلى والده

= في بلاد المغرب، والسبب في بنائها كما صمد جديدة للدولة الفاطمية الناشئة يرجع إلى شعور المهدي بالحاجة إلى حصن يحتتمى فيه إذا ما تغيرت عليه نفوس رعاياه، ولذا اختار المهدي عاصمته الجديدة على شبه جزيرة بالساحل التونسي بين سوسة وصفاقص كي يتسنى له الاعتماد على أسطوله في حماية المدينة، وقد أشرف المهدي بنفسه على بناء مرسى المهديّة، كما أنشأ على ساحلها داراً كبيرة للصناعة ثم بنى المهدي حولها أسواراً محكمة ذات أبواب ضخمة، ويقال إنه لما فرغ من بنائها قال: "أمنت اليوم على الفاطميات".

راجع: مؤلف مجهول، الاستبصار، ص ١١٧، ١١٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٢٥، ٣٦؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثالث، ص ٤٦، ٤٧، ٤٨.

(١) جزائر بني مزغنة هي مدينة الجزائر الحالية، وكانت هذه المدينة في القديم تحمل اسم إيكسيوم ثم خربت أثناء هجمات الوندال وثورات البربر وأصبحت مستقراً لقبيلة بربرية تدعى بني مزغنة. وفي القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) أسس بلقين بن زيري بن مناد الصنهاجي مدينة هناك دعاها جزائر بني مزغنة. وقد وصفها البكري ووصف ما بها من آثار قديمة وقال بأنها كانت مرسى شتوياً ومعبراً إلى الأندلس، ثم خضعت لنفوذ المرابطين والموحدين.

راجع: البكري، المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، ص ٦٦، ٨٢، مؤلف مجهول، الاستبصار، ص ١٢٣، ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ٩٣، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثالث، هامش (١) ص ٦٤.

يحيى بن عبد العزيز ولى عهد بجاية، فالتجأ القائم إلى والده يحيى ببجاية الذى أسرع بالفرار إلى مدينة قسنطينة،^(١) بينما تمكنت القوات الموحدية من حصار بجاية ودخولها فى شهر ذى القعدة سنة ٥٤٧هـ (فبراير سنة ١١٥٣م)، ثم عاد عبد المؤمن بن على فاستراح فيها قرابة الشهرين ثم غادرها إلى مراكش.^(٢)

(١) قسنطينة مدينة قديمة أسسها الفينيقيون، ثم خربت خلال العصر الرومانى، إلى أن جاء الامبراطور البيزنطى قنستطنطين الأول فأعاد بنائها وسميت منذ ذلك الوقت قسنطينة، وقد تعاقبت عليها الدول الاسلامية التى حكمت بلاد المغرب كالحمايين والحفصيين وقد وصفها صاحب الاستبصار بقوله: "ومدينة قسنطينة حصينة فى نهاية من المنعة والحصانة لا يعرف بأفريقية أمنع منها، ليس لها فى المنعة نظير غير مدينة رندة بالأندلس. راجع: الاستبصار، ص ١٦٥، ١٦٦؛ الإدريسي، صفة المغرب، ص ٩٤، ٩٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثالث، هامش (١) ص ٧٠.

(٢) البيهقي، أخبار المهدي بن تومرت، ص ١١٣، ١١٤؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج ٥، ص ٤٥، ٤٦؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص ١١٢، ١١٣، ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص ١٩٢، ١٩٣؛ السلوى الناصرى، الاستقصا، ج ٢، ص ١٢٠، عنان، عصر المرابطين، ص ٢٨٢-٢٨٤. Miranda, Historia Politica, Vol, 1, P.160 -167.

وفى سنة ٥٤٨هـ (١١٥٣م) شهدت سلا حادثاً على درجة كبيرة من الأهمية، ففي هذا العام سار عبد المؤمن بن على من مراكش إلى سلا لأخذ البيعة بولاية العهد لابنه البكر محمد، فقد حرص عبد المؤمن على توريث أبنائه الملك من بعده، ولذلك نراه قد مهد لذلك بأن استدعى قبيلته كومية ليحتمى وراء تلك العصبية القبلية، كما استغل عنصراً جديداً في الدولة وهم العرب في سبيل تحقيق غايته من تولية ابنه محمد وذلك حين أمره أن يكاتب أمراء العرب الهلالية بأن نساءهم وأبنائهم في الحماية والرعاية ويطلب منهم الحضور إلى الحضرة لاستلامهم - وكان عبد المؤمن قد أمسك بهم كأسرى في إحدى حملاته ضد العرب الهلالية - حتى إذا حضروا إلى الحضرة وجدوا الترحيب والتكريم والأموال الجزيلة، مما دفعهم للاقامة في الحضرة وقد امتلأت قلوبهم بالحب والإجلال للخليفة وابنه، فلما أطمأن عبد المؤمن بن على إلى ولائهم أوحى إليهم بمطالبة تنصيب ابنه ولياً للعهد، ففعلوا ذلك، إلا أن عبد المؤمن تظاهر في بادئ الأمر وحتى لا يبدو أمام أشياخ الموحدين وزعمائهم بمظهر الذى يريد أن يحول الدولة إلى ملكية وراثية يضاف إلى ذلك احترامه لشخصية أبى حفص عمر بن يحيى الهنتاتى ويبدو أنه كان هناك اتفاق بين عبد المؤمن بن على وبين أبى حفص بأن يتولى الخلافة خلفاً له، وقد بدأت وفود العرب تغد على سلا بإيعاز من عبد المؤمن بن على، وأبدوا رغبتهم صراحة في اختيار ابنه محمد لولاية عهده، فأمر عبد المؤمن بإحضار أشياخ وفقهاء الموحدين وطلباتها وعمالها إلى سلا، وشاورهم في هذا الأمر، ويبدو أن أبى حفص خشى على نفسه، فأعلن خلع نفسه وأعلن تأييده لتلك الرغبة في اختيار الأمير محمد، وكذلك وافق الأشياخ والفقهاء والطلبة والعمال على هذا الاختيار، فتمت البيعة بولاية العهد لمحمد

إبن عبد المؤمن بمدينة سلا، وصدرت منها الرسائل إلى جميع الجهات لأخذ البيعة، كما وفد الشعراء على عبد المؤمن بسلا للتهنئة، ومكث عبد المؤمن بسلا بقية عام ٥٤٨هـ (١١٥٢ - ١١٥٤م).^(١)

وفى عام ٥٥٠هـ (١١٥٥م) سار عبد المؤمن بن على من مدينة مراكش إلى مدينة سلا وعلى حد قول البيهقي إن الخليفة بقى بها قرابة عامين،^(٢) ولاشك أن توجه عبد المؤمن بن على إلى سلا وبقائه بها هذه الفترة الطويلة كان يهدف فى المقام الأول مساندة جيوش الموحدين فى الأندلس وإمدادها بالرجال والعتاد. وفى غرة شوال سنة ٥٥٢هـ (نوفمبر سنة ١١٥٨م) عاود عبد المؤمن بن على زيارته لمدينة سلا حيث وفد عليه بها الصحراوي وأشياخ جزولة وأعلنوا الولاء والطاعة له،^(٣) كما وفد عليه بسلا وفد أهل الأندلس ومنهم الأديبة والشاعرة حفصة المعروفة بابنه الحاج الركونى.^(٤)

(١) البيهقي، أخبار المهدي بن تومرت، ص ١٤١؛ ابن عذراى، البيان المغرب، ح ٥، ص ٤٩؛ ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص ١٩٤؛ السلوى الناصرى، الاستقصا، ج ٢، ص ١٢٢، عنان، عصر المرابطين، ص ٢٢٨، ٢٣٩؛ حسن على حسن، الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس فى عصر المرابطين والموحدين، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٨٧، ٨٨.

(٢) أخبار المهدي بن تومرت، ص ١٤٤، ١٤٥.

(٣) البيهقي، المصدر السابق، ص ١٤٥.

(٤) حفصة بنت الحاج الركونية من أهل غرناطة، وكانت فريدة زمانها فى الحسن والظرف والأدب ولها العديد من القصائد الشعرية، وكان الخليفة عبد المؤمن بن على قد سمع عنها وعما توصف به من الجمال الباهر والأدب الظاهر، فأمر بإحضارها، فأنشدته تستدعى منه ظهيرا لموضع فقالت:

ظل عبد المؤمن بن علي في مدينة سلا حتى تكامل ورود الجيوش الموحدية من أنحاء بلاد المغرب استعداداً لاسترداد مدينة المهدية من أيدي النورمانديين أصحاب صقلية، فخرج من سلا في العاشر من شهر صفر سنة ٥٥٤هـ (فبراير سنة ١١٥٩م) يصحبه الحسن بن علي الصنهاجي أمير^(١) إفريقية السابق، وقد نجحت الجيوش الموحدية في دخول مدينة المهدية يوم عاشوراء (الحادي عشر من المحرم) سنة ٥٥٥هـ (الحادي والعشرين من يناير سنة ١١٦٠م).^(٢)

يؤمل الناس رفده	== يأسيد الناس يامن
يكون للدهر عده	أمن على بصك
(الحمد لله وحده)	تخط يمتاك فيه

فأعجب بها عبد المؤمن، ووقع لها بالقرية المعروفة بركونة وإليها تنسب حفصة.

الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص ١٠، ١١

(١) الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجي. ولد بمدينة سوسة في شهر رجب سنة ٥٠٢هـ (١١٠٨م) وعهد إليه أبوه علي بن يحيى بن تميم بالأمر في حياته، فلما توفي سنة ٥١٥هـ (١١٢١م) بويع بإمارة إفريقية ومازال حتى استولى على المهدية رجار الثاني ملك صقلية سنة ٥٤٣هـ (١١٤٨م) فالتحق الحسن بعرب رياح ثم أراد الرحيل إلى مصر ولكنه لم يتمكن فانتفى به المطاف إلى البقاء في الجزائر ومازال بها حتى فتحها عبد المؤمن بن علي فوالاه الحسن وأحق به وصحبه إلى إفريقية.

راجع: ابن القطان (أبو الحسن علي بن محمد الكتامي): نظم الجمان في أخبار الزمان، نشر وتحقيق د. محمود علي مكي، الرباط، ١٩٦٤، ص ٢٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٥، ص ٣١٢؛

ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٢٦٢؛ ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ١٦٢.

(٢) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص ١١٧، ١١٨؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ١٩٧ - ١٩٩؛

السلوي الناصري، الاستقصاء، ج ٢، ص ١٣٦؛ عنان، عصر المرابطين، ٢٩٤، ٣٧٦.

Julien (André). Histoire de l'Afrique du nord de la conquete arabe a 1830, Paris, 1952, P.110 -111.

وفى يوم الخميس الخامس من شهر ربيع الأول سنة ٥٥٨هـ (التاسع من شهر فبراير سنة ١١٦٣م) خرج عبد المؤمن بن على - كعادته - من مدينة مراكش إلى مدينة سلا قاصداً العبور إلى الأندلس للجهاد، فلما وصل إلى سلا للإشراف على إعداد وتجهيز الجيوش الموحدية كتب إلى جميع بلاد المغرب وإفريقية يستنفرهم للجهاد، فاجتمع له ما يزيد عن مائة ألف فارس ومثلهم من الرجال، فلما استوفت لديه الحشود وتكاملت، أصيب بمرض أشرف منه على الموت، فأمر بعزل ولده محمد عن ولاية العهد واسقاط اسمه من الخطبة، وقد أوضح ابن صاحب الصلاة الأسباب المباشرة فى عزل الأمير محمد عن ولاية عهد الموحدين فقال: "وعند الانصراف منها - أى انصراف عبد المؤمن بن على من زيارته لقبر المهدي بن تومرت بتينملل سنة ٥٥٨هـ (١١٦٣م) - فى الطريق ظهر من جرحه محمد المخلوع بما وجب عليه فى اثر ذلك الخلع، وذهب فى جانبه الصدع من شرب الخمر المحرمة وظهور السكر عليه، وذلك أنه تقيأها على ثيابه وأطنا به وسرجه وهو راكب على فرسه فى المحلة على مرأى من عظماء الموحدين وأشياخهم والعالم من المؤمنين الزائرين، فصيح عند أبيه نكره وتخليطه وسكره فاسقط هو بفعله من الأمر نفسه وكسف بالنهار شمسهِ (١) وقد جمع عبد المؤمن بن على أشياخ الموحدين وأخبرهم برغبته فى عزل ابنه محمد وقال لهم: " قد جربت ابنى محمد فلم أجد فيه نجابة تصلح للأمور ولا يستحق الولاية ولا يصلح لها إلا ابنى يوسف وهو أولى بها فقدموه لها

(١) المن بالإمامة، ص ٢١٦، ٢١٧.

ووصاهم بها فبايعوه وعقدوا له الولاية.^(١) وهكذا شهدت سلا عزل الأمير محمد عن ولاية عهد الموحدين واختيار الأمير يوسف بن عبد المؤمن لولاية عهد الدولة، ثم توفى عبد المؤمن بن علي بمحله في سلا سنة ٥٥٨هـ (١١٦٣).^(٢) وقد ذكر ابن مطروح في تاريخه انه لما توفى عبد المؤمن بن علي كان ولده وولي عهده أبو يعقوب يوسف بمدينة إشبيلية، فأخفى خبر موته وأرسل في استدعائه، فوصل على وجه السرعة إلى سلا فتمت له البيعة بمحلة أبيه في سلا.^(٣)

لم تشر المصادر التاريخية إلى مدينة سلا خلال الفترة التي تلت عصر الخليفة عبد المؤمن بن علي إلا إشارات قليلة، ففي غرة ربيع الأول سنة ٥٦٠هـ (السادس عشر من يناير سنة ١١٦٥م) تحرك السيد الأعلى أبو حفص أخى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن من مدينة مراكش إلى مدينة سلا، فأقام فيها نحو الشهر للنظر في مصالحها.^(٤) وكان أهالى مدينة

(١) ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ٢٢١؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ١٩٩؛ الزركشى، تاريخ الدولتين، ص ٩.

(٢) عن وفاة عبد المؤمن بن علي بمدينة سلا والاختلاف بين المؤرخين حول تحديد اليوم والشهر الذى توفى فيه عبد المؤمن. راجع: البيهقي، اخبار المهدي بن تومرت، ص ٨٢؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٦٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٨١، ابن عذراي، البيان المغرب، [٣-، ص ٧٩؛ عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص ٣٤؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص ١٥٧؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس ص ٢٠٢؛ السلاوي الناصري، الاستقصا، ج ٢، ص ١٢٩.

Miranda, Historia Politica, Vol, 1, P.209.

(٣) ابن عذراي، البيان المغرب، ح ٨٣.

(٤) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٢٥٠، ٢٥١.

قفصة^(١) قد ثاروا على الخليفة يوسف بن عبد المؤمن وقدموا على أنفسهم رجلاً منهم يعرف بعلى بن الرند، فتملكهم إلى عام ٥٧٦هـ (١١٨٠م)، فسار الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بنفسه إلى قفصة وحاصرها: "و نصب عليها آلة الحرب، وعمل للعجل الحاملة للآلات قلوفاً ضربتها الريح فمشتها فرعب أهل قفصة"، واستأمنوه فأمنهم وقطع غابتها وزيتونها، وقبض على علي بن الرند ونقله إلى مدينة مراكش ولكنه لم يلبث أن عفا عنه وولاه على مدينة سلا وأمره بالنظر في مصالحها.^(٢)

وفي عام ٥٧٩هـ (١١٨٤م) رأى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن أنه لابد من إعادة تنظيم حركة الجهاد في الأندلس، وقرر الخروج بنفسه على رأس الجيوش الموحدية المجاهدة، ففي يوم السبت الخامس والعشرين من شهر شوال سنة ٥٧٩هـ (فبراير ١١٨٤م)، خرج الخليفة من مدينة مراكش

(١) قفصة Gafsa مدينة من مدن الجريد جنوب تونس، وهي مدينة قديمة وكانت تسمى عند الرومان كبصة Gapsa يصفها صاحب الاستبصار بقوله: "وكان اسم مدينة قفصة مدينة الحنية لأن فيها بنياناً قديماً مثل الحنية فكانت تسمى بها، وفي داخلها عيون كثيرة منها عينان كبيرتان معينتان ليس لهما نظير في عذوبة مائهما وصفائه وكثرته. ولدينة قفصة غابة كبيرة قد أحاطت بها من كل ناحية مثل الإكليل. وغابة قفصة كثيرة النخل والزيتون وجميع الفواكه التي ليس في بلد مثلاً؛ فيها تفاح عجيب جليل زكى الرائحة يسمونه السدس لا يوجد في بلد مثله؛ وكذلك الرمان والأترج والموز لا يوجد مثلاً في بلد. وقفصة أكثر البلاد فستقاً حتى أننى أظن أنه ليس بإفريقية فستقاً إلا فيها ومنها يجلب إلى إفريقية وبلاد المغرب وبلاد الأندلس ومصر." ويقول البكري: "وقفصة مدينة مبنية كلها على أساطين وطيقان رخام قد بنى خلالها بالصخر الجليل بأحكام عمل.. وجباية قفصة ألف دينار.."

راجع: مؤلف مجهول، الاستبصار، ص ١٥٠-١٥٤؛ البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية، ص ٤٧.

(٢) مؤلف مجهول، الاستبصار، ص ١٥٠، ١٥١؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٧٩.

ووصل ركبهُ الضخم إلى مدينة سلا فى الثالث عشر من شهر ذى القعدة سنة ٥٧٩هـ (فبراير سنة ١١٨٤م)، فلما وصل إلى سلا أتاه قائد البحر محمد بن أبى إسحاق بن جامع^(١) من إفريقية، فأعلمه بهدوئها وسكونها، ثم تحرك من سلا يوم الخميس الموافق للثلاثين من ذى القعدة سنة ٥٧٩هـ (الخامس عشر من شهر مارس سنة ١١٨٤م) فنزل بظاهرها ثم أقلع عنها فى اليوم التالى إلى مدينة مكناسة حيث قضى بها عيد الأضحى المبارك^(٢).

(١) تعتبر أسرة بنو جامع من شهيرات الأسر فى عصر الموحدين وهى ترجع فى نسبها إلى أبى إبراهيم إسحاق بن جامع، وأهل أبيائه من الأندلس من مدينة طليطلة وقد نشأ بضيعة تسمى رومة بساحل مدينة شريش على المحيط الأطلسى ثم انتقل إبراهيم بن جامع إلى بلاد المغرب وتعرف على المهدي بن تومرت ودخل فى دعوته ولازمه واعتبره البيذق من أهل داره، وقد خدم عبد المؤمن ابن على وعاش فى قصره وفى قصر عبد المؤمن ولد ابنه إدريس، الذى سيتولى الوزارة والحجاية لكل من عبد المؤمن بن على وابنه يوسف بن عبد المؤمن، وقد ظل أبو العلاء إدريس وأخوته وبنوه محل تجله واحترام إلى أن نكبهم الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن سنة ٥٧٣هـ (١١٧٨م). أما قائد البحر محمد بن أبى إسحاق بن جامع فقد تولى قيادة الأسطول الموحدى المرابط فى مدينة سبتة وكان له دور كبير فى أعمال الجهاد البحرى ولاسيما ضد مملكة البرتغال. وقد أنجب محمد ابن أبى إسحاق بن جامع عدداً من الأولاد كان أشهرهم وأبرزهم أبو سعيد عثمان الذى تولى الوزارة للخليفة الموحدى محمد الناصر لدين الله ولاينه أبى يعقوب يوسف المستنصر بالله وقد تولى أبو سعيد عثمان ٦٢١هـ (١١٢٤م).

راجع: البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص ٢٨، ٢٩، ابن القطان، نظم الجمان، ص ٣٢، ابن الأبار، الحلة السيرة، ج ٢، ص ٢٣٩، ٢٤٠، العبادى (د. أحمد مختار): دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، الطبعة الأولى، الاسكندرية، ص ١٦٣ - ١٦٦؛ عنان، عصر الموحدين، ص ٥٩، ٩١، ٩٢.

(٢) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص ٢١٣؛ ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ٢٤١؛ الزركشى، تاريخ الدولتين، ص ١٤؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، ج ٢، ص ١٥٤.

ولما توفي الخليفة يوسف بن عبد المؤمن في الثاني من ربيع الآخر سنة ٥٨٠هـ (الثالث عشر من شهر يوليو سنة ١١٨٤م) تمت البيعة بإشبيلية لإبنه أبي يوسف يعقوب المنصور وذلك يوم الأحد التاسع عشر من ربيع الآخر سنة ٥٨٠هـ (الثلاثين من شهر يوليو سنة ١١٨٤م)، ثم عبر البحر من الأندلس إلى المغرب ونزل بمدينة سلا ويقول صاحب المعجب: "وبها (أي سلا) تمت بيعته واستجاب له من كان تلكاً عليه من أعمامه من ولد عبد المؤمن بعد ما ملأ أيديهم أموالاً وأقطعهم الأقطاع الواسعة".^(١)

وفي عام ٥٨١هـ (١١٨٥م) أمر الخليفة بتقريب بنو حماد^(٢) من بجاية إلى مدينة سلا لاتهامهم بالتواطؤ مع بني غانية،^(٣) بعد أن أرغمهم على تصفية أموالهم بها بثمن بخس، كما غُرب غيرهم من المشاركين في

(١) عبد الواحد المراكشي، ص ٢٨٢، ٢٨٤.

(٢) انقسمت الدولة الصنهاجية في إفريقية والمغرب الأوسط في عهد الأمير باديس بن المنصور بن بلكين في أواخر القرن الرابع الهجري إلى دولتين: الدولة الزيرية في إفريقية نسبة إلى زيري بن مناد الصنهاجي والدولة الحمادية في المغرب الأوسط نسبة إلى حماد بن بلكين بن زيري، وقد اتخذت الدولة الحمادية من مدينة القلعة منزلاً ومقرّاً ثم بجاية التي بنيت من جديد في عهد الناصر ابن علناس بن حماد سنة ٤٥٧هـ (١٠٦٥م). وعندما قامت دولة المرابطين في بلاد المغرب الأقصى ساد التوتر بين المرابطين والحماديين ولكنه لم يؤد إلى مدام مسلح بين الطرفين، ولكن عندما قامت دولة الموحدين تمكنت من الاستيلاء على بجاية وانتهت دولة بني حماد.

راجع: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثالث، ص ٨٥ - ١٠٠؛ ابن خلدون، العبر، ج١، ص ٢٢٢، ٢٤٩، ٢٦٠، ٢٦١؛ سالم، المغرب الإسلامي، ص ٦٤٩ - ٦٥٥.

(٣) ينسب بنو غانية إلى أمهم غانية التي كانت من جوارى الأمير علي بن يوسف بن تاشفين. تزوجها علي بن يحيى المتوفى فولدت له محمداً ويحيى ابني غانية. وقد عين علي بن يوسف يحيى بن غانية على بلنسية ومرسية، ثم ولاء تاشفين بن علي على قرطبة سنة ٥٣٨هـ (١١٤٤م)، وقد شارك

هذه المؤامرة بعد أن صفيت أموالهم وديارهم^(١) وفي أواخر عام ٥٩٠هـ (١١٩٥م) عزم يعقوب المنصور التوجه إلى الأندلس للجهاد، وكتب في استدعاء الجيوش والقواد، وسار إلى مدينة سلا ليكون اجتماع العساكر بظاهرها^(٢) وينفرد السلوى الناصرى بالقول بأن الخليفة يعقوب المنصور قد توفي بمدينة سلا^(٣).

= في إخماد ثورة ابن حمدين في قرطبة ولكن ابن حمدين استغاث بملك قشتالة وأطمعه في دخول قرطبة وقد أبلى ابن غانية في دفاع النصارى أحسن البلاء، ودخل الملك القشتالى قرطبة بالفعل حينما بلغه أنباء استفحال سلطان الموحدين، فرأى من حسن الراى أن يهادن ابن غانية حتى يكون سداً بينه وبين الموحدين. واستقر يحيى بقرطبة وتنقل بعدها بين شتى قواعد الأندلس حتى لجأ أخيراً إلى غرناطة آخر معاقل المرابطين بالأندلس فأقام بها شهرين ثم توفي في الرابع من شعبان سنة ٥٤٣هـ (ديسمبر سنة ١١٤٨م)، أما محمد بن غانية فقد ولاه على بن يوسف على الجزائر الشرقية سنة ٥٢٠هـ (١١٢٦م) وحين قامت دولة الموحدين لم يخضع بنو غانية لحكمها، وظل الجانبان في حروب مستمرة حتى عام ٥٩٥هـ (١٢٠٢م) حينما استولى الناصر الموحدى على ميورقة وأخرج منها ابن غانية، بينما قضى عبد الواحد بن أبى حفص على يحيى بن غانية آخر زعماء هذا البيت نحيبه في الفريقية عام ٦٠٦هـ (١٢٠٩م).

راجع: ابن القطان، نظم الجمان، ص ٢٢٠، ٢٢١. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ١٦٦ - ١٧١؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ج ٤، ص ٢٤٣ - ٢٤٧؛ القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٥٧، ٢٥٨؛ الزركشى، تاريخ الدولتين، ص ١٥ - ١٨.

Alfred Bel: Les Banou Ghanaya, Paris, 1903, P.50 - 100.

(١) ابن عذراى، البيان المغرب، ج ٣، ص ١٨١؛ عنان، عصر الموحدين، ص ١٥٤.

(٢) السلوى الناصرى، الاستقصا، ج ٢، ص ١٨٥.

(٣) الاستقصا، ج ٢، ص ٢٠٣.

وفى عام ٦٣٥هـ (١٢٣٨م) تعرضت مدينة سلا لهجوم من جانب عمر بن وقاريط،^(١) وكان ابن وقاريط عقب فراره إلى الأندلس قد استقر

(١) عمر بن وقاريط شيخ قبيلة مكسورة البربرية، أول إشارة وردت في المصادر التاريخية عنه تعود إلى عام ٦٢٢هـ (١٢٢٦م) عندما عاث في نواحي مراكش وشارك في تخريب بلاد دكالة وفشل الخليفة الموحدي العادل في إخماد حركته. وعندما تولى المأمون الموحدي الخلافة كان عمر بن وقاريط على رأس المؤيدين والمناصرين له، فلما تولى المأمون تولى ابنه الرشيد الخلافة في مستهل المحرم سنة ٦٣٠هـ (١٨ أكتوبر سنة ١٢٣٢م) فقدم عمر بن وقاريط إلى مراكش بصحبة أولاد الخليفة المأمون إخوة الرشيد الصغار كي ينال عطف الرشيد وثقته، ولما وصل إلى مراكش توثقت أواصر المودة بينه وبين السيد أبي محمد ابن محمد ابن أبي سعد عم الخليفة الرشيد، وكان عمر بن وقاريط شعوراً منه بكثرة جمعه وتوطد نفوذ قبيلته يكثر من الرغبات والمطالب، وكان الرشيد يستجيب إلى معظم رغباته، ولكنه لم يلبث أن أظهر العصيان للرشيد في طاعة منافسه يحيى المعتصم، فاضطر الرشيد لقتال عمر بن وقاريط ويحيى المعتصم، وعندما اشتد القتال تخاذل أنصار يحيى المعتصم وولوا الأدبار فاستولى عسكر الرشيد على ما في محلاتهم. ولكن عمر بن وقاريط ويحيى المعتصم أعادا تنظيم صفوفهما مرة أخرى وتمكنا من إلحاق الهزيمة بجيوش الموحدين ودخلوا مراكش وتولى يحيى المعتصم مقاليد الخلافة وذلك في أواخر عام ٦٣٢هـ (١٢٣٥م) ولكن الرشيد تمكن في العام التالي من استرداد عاصمته وأوقع الهزيمة بيحيى المعتصم وعمر بن وقاريط، ففر الأخير إلى الأندلس ونزل لدى صديقه محمد بن هود الذي رحب به وشمله بعطفه.

راجع: ابن عذرائ، البيان المغرب، ح ٥، ص ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٣٢، ٣٤٦، ٣٤٧؛ ابن خلدون، العبر، ج ٦، ص ٢٥٢، ٢٥٣؛ عنان، عصر الموحدين، ص ٣٦٤، ٤٩٨،

.٥٠٥، ٥٠٠

بمدينة اشبيلية فى كنف محمد بن هود^(١) وقرر الاستيلاء على مدينتى سلا ورباط الفتح، وأقنع ابن هود بأهمية هذا المشروع العسكرى وكان يتولى سلا الفقيه أبو العلى مع زوجه الحرة فاطمة بنت المأمون أخت الخليفة الرشيد، وطلب عمر بن وقاريط من صديقه محمد بن هود أن يمدّه بسفينتين

(١) أبو عبد الله محمد ابن يوسف بن هود الجذامى وينتمى إلى أسرة بنى هود التى حكمت سرقسطة فى زمن ملوك الطوائف. وقد ظهر هذا التأثير فى بداية أمره فى نواحي مرسية ونجح فى دخولها وهو يرفع راية عباسية سوداء، ببيع له بمرسية فى غرة رمضان سنة ٦٢٥هـ (١٤ أغسطس سنة ١٢٢٨م) وتسمى بأمير المسلمين ومعز الدين، ودعا للخليفة العباسى المستنصر بالله، وكتب إليه ببغداد، فبعث إليه بالخلع والمراسيم وسماء مجاهد الدين سيف أمير المؤمنين عبد الله المتوكل على الله، وسرعان ما قوى أمره، وذاع ذكره واطاعته الكثير من مدن الأندلس كشاطبة وجزيرة شقر وجيان وقرطبة وغرناطة ومالقة والمرية، وقد حاول خلفاء الموحدين المأمون والرشيد القضاء على ثورة محمد بن هود إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل، ولكن ابن هود لم يلبث أن فقد الكثير من المدن الأندلسية الهامة التى استولى عليها النصارى إلى أن توفى سنة ٦٢٥هـ (١٢٣٧م).

راجع: عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص ٣٣٥، ٣٥٥؛ ابن عذراى، البيان المغرب، ص ٢٧٠؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثانى، ص ١٧٢؛ ابن خلدون، المعبر، ج ٧، ص ٢٥٠، ٢٥١؛ عنان، عصر الموحدين، ص ٣٩٠، ٣٩١.

Gaspar (Remiro): Historia de Murcia Musulmana (Zaragoza, 1903)
P.276 -277.

ليدخل بهما سلاً فأعانه ابن هود بما طلبه ووصل إلى سلا: وكاد أن يستولى على ثغر سلا ولو ملكه لحصل على معقل الدنيا ارتفاعاً ووثاقه ومنعه،^(١) ولكنه لقي مقاومة عنيفة واضطر إلى الانسحاب، فلما علم الخليفة الرشيد بما حدث أرسل إلى سلا في استقدام أخته فاطمة وزوجها وكذلك أمه التي كانت في زيارة لمدينة سلا.^(٢)

وعندما توفي الخليفة الرشيد يوم الجمعة العاشر من جمادى الآخرة سنة ٦٤٠ هـ (الخامس من ديسمبر سنة ١٢٤٢م) تمت مبايعة أبي الحسن على بن أبي العلاء إدريس بن يعقوب المنصور بالخلافة وتلقب بالخليفة السعيد، فندب الخليفة أبا حفص عمر ليكون والياً على مدينة سلا.^(٣)

(١) ابن عذراى البيان المغرب، حـ، ص ٣٣٤.

(٢) ابن عذراى، المصدر السابق، حـ، ص ٣٤٤، ٣٤٥؛ السلوى الناصرى، الاستقصا، جـ ٢، ص ٢٤٥، عنان، عصر الموحدين، ص ٥٠٩.

(٣) ابن عذراى، البيان المغرب، حـ، ص ٣٨٨؛ ابن عبد الملك (محمد بن محمد بن سعيد المراكشى): الذيل والتكملة لكتاىب الموصول والصلة تحقيق محمد بن شريفة، الرباط، ١٩٨٤م، السفر الأول، القسم الأول، ص ١٧٨، ابن خلدون، العبر، جـ ٦، ص ٢٥٨؛ عنان، عصر الموحدين، ص ٥٢٢.

ولما توفي توفي الخليفة السعيد في شهر صفر سنة ٦٤٦هـ (يونيو سنة ١١٤٨م) عقد السيد أبوزيد أخو الخليفة اجتماعاً حضره أشياخ الموحدين، واقترح بعضهم أن يولى السيد أبو زيد الخلافة فامتنع الأخير، وأراد آخرون تقديم غيره من بنى عبد المؤمن، بينما اقترح أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجنفيسي اختيار السيد أبي حفص عمر والى سلا: "لطهارته وصيانتة"، فوافق الحاضرون، وعقدت له البيعة بجامع المنصور بمدينة مراكش، وتوجه، بها أحد أشياخ الموحدين ويدعى ابن أصلماط إلى سلا، ولكنه لقي السيد أبا حفص عمر مقبلاً من سلا إلى مراكش مع بعض الموحدين وأشياخ العرب، فبادر ابن أصلماط بمبايعته وأخرج إليه بيعة أهل مراكش، وضربت قبة لاجتماع الناس لقراءة البيعة، فقرئت، وبايعه جميع من حضر من الموحدين والفقهاء والأشياخ ثم ارتحل إلى مدينة مراكش فدخلها وجددت له البيعة بها، وتلقب بلقب الخليفة المرتضى لأمر الله،^(١) وقد ولى الخليفة المرتضى على مدينة سلا أبو عبد الله بن أبي يعلى الكومي.^(٢)

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، ٥٥، ص ٣٨٨؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٢٥٨؛ عنان، عصر الموحدين، ص ٥٢٩.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، ج ٣، ص ٣٩٩.

سلا في عصر بنى مرين^(١)

كان المرينيون يتطلعون للقيام بعملية عسكرية يستولون بها على مدينتي سلا ورباط الفتح، لان الاستيلاء على هاتين المدينتين من شأنه أن

(١) قامت الدولة المرينية في المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) واستمرت قرابة قرنين من الزمان. وكان بنو مرين فخذاً قوياً من أفخاذ قبيلة زناتة البترية. وقد غلب طابع البداوة والحل والترحال على حياة المرينيين قبل دخولهم إلى المغرب الأقصى، وكان من أبرز زعمائهم في تلك الفترة المبكرة من تاريخهم جدهم الأعلى ماخوخ الزناتي، وبعد موت ماخوخ الزناتي تآلق نجم مرين بن ورتاجن بن ماخوخ الذي تفرعت عنه قبائل بنى مرين، ثم توالى رئاسة قبائل زناتة في أحفاد مرين بن ورتاجن حتى وصلت إلى محمد بن ورزير الذي كان له سبعة أولاد أبرزهم الشقيقان حماسة وعسكر اللذين توليا زعامة بنى مرين، وعسكر هو والد المخضب أشهر زعماء بنى مرين قبل دخولهم إلى المغرب الأقصى، وبعد مقتل المخضب على أيدي الموحدين سنة ٥٤٠هـ (١١٤٥م) انتقلت زعامة بنى مرين إلى الفرع المريني الآخر وهم أبناء حماسة بن محمد بن ورزير، حيث تولى أبو بكر بن حماسة زعامة بنى مرين، ثم خلفه ابنه أبو خالد محيو بن أبي بكر الذي أصيب في معركة الأرك سنة ٥٩١هـ (١١٩٥م) إصابة كانت السبب في وفاته. وعندما بدأ الضعف يدب في كيان دولة الموحدين ازدادات أطماع المرينيين في أملاكهم. وكان أول قيام لبنى مرين في سنة ٦١٣هـ (١٢١٦م) على عهد أميرهم أبي محمد عبد الحق بن محيو الذي احتل مكناسة وتازا ثم تدعمت أركان هذه الدولة في عهد الأمير أبو سعيد عثمان بن عبد الحق ثم عهد أخيه الأمير أبو معرف محمد بن عبد الحق ثم عهد الأمير أبو بكر بن عبد الحق، وأخيراً جاء الأمير أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني وقضى على آخر الخلفاء الموحدين، أبي دبوس، واستولى على عاصمتهم مراكش سنة ٦٦٨هـ (١٢٦٩م).

راجع عن بنى مرين: عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص ٣١٥، ٣١٦، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٠١، ٣٠٥، ٣١١، ٣١٥، ٣٢٠، ابن أبي زرع، الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط، ١٩٧٢، ص ١٤، ٢٠، ٢١، ٢٥، ٤١، ٦٠، ٦٤، ٦٦؛ ابن مرزوق (محمد بن أحمد ابن أبي بكر): المسند الصحيح الحسن في مآثر =

يقطع كل اتصال للموحدين بشمال المغرب الأقصى، فيبقوا وكأنهم محاصرون في جنوب المغرب الأقصى. وكان الخليفة الموحدى المرتضى يستشعر موضع الضربة القادمة للمرينيين، فقرر أن يبدأ هو بالهجوم على بنى مرين بهدف إيقاف زحفهم نحو مدينتي سلا ورباط الفتح وذلك بمنعهم من عبور وادي أبي رقراق إلى أرض تامسنا، وقد أغرى المرتضى وشجعه على القيام بهذه العملية العسكرية زعيمان من زعماء بنى مرين هما أبو عمران موسى بن زيان المونكاس، وأخوه على بن زيان، وكانا قد انشقا على الأمير أبي بكر بن عبد الحق المريني ولحقا ببلاط الموحدين بمراكش سنة ٦٤٨هـ (١٢٥٠م) فأكرم المرتضى وفادتهما ورتب لهما أموالاً سخية. وقد أخذ الخليفة المرتضى يحشد حشوده، وأرسل إلى الأندلس ليرسلوا إليه فرقة

= ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، ١٩٨١م، ص ١٠٩، ١١٠؛ ابن الأحمر (أبو الوليد اسماعيل بن يوسف): روضة التشرين في دولة بنى مرين، الدار البيضاء، ١٩٦٢م، ص ٩، ١٠، ١١، ١٥، ١٩؛ ابن خلدون، العبر، ج ٧، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٤١، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج ٥، ص ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص ١٠٣، ١٠٤؛ ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن القاسم القيرواني): المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، طبعة تونس، ١٩٦٧م، ص ١٤٥، ١٤٦، السلاوي الناصري، الاستقصا، ج ٢، ص ١٢٤، ١٢٥، ج ٣، ص ١٧، ١٨؛ سالم، المغرب الاسلامي، ص ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩؛ العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٠٥، ٢٠٦؛ الحريري (محمد عيسى) تاريخ المغرب الاسلامي والأندلس في العصر المريني، طبعة الكويت، ١٩٨٥، ص ٧، ٩، ١٠، ١٨، ٢٠، ٢٢.

من الجند النصارى المرتزقة: "ليركبهم معه ويكونوا له أعواناً وانصاراً" وخرج المرتضى على رأس تلك الحشود من مدينة مراکش فى غرة رمضان سنة ٦٤٩هـ (١٢٥١م) فسار إلى تينملل لزيارة قبر المهدي بن تومرت وفى الخامس من رمضان من نفس العام اتخذ طريقه إلى مدينة سلا، فقضى بها عدة أيام للتعرف على أخبار بنى مرين، ثم تحرك من سلا للقاء المرينيين، فلما علم الأمير أبوبكر بن عبد الحق المرينى بتحرك الخليفة المرتضى للقاءه، اجتمع مع زعماء بنى مرين، وقرروا مخاطبة المرتضى والكتابة إليه، وكتب أبو بكر بن عبد الحق المرينى طالباً منه المهادنة والمصالحة، وكاد المرتضى يميل إلى مسألتهم ومصالحتهم، ولكن وزراءه اعترضوا على ذلك وقالوا له: "لا يصلح فى مكان واحد ملكان".^(١)

حدث اللقاء بين الموحدين والمرينيين بموضع يسمى أمن ملولين (أو أميلولين) من أحواز مكناسة، وكان الأمير أبو بكر بن عبد الحق قد استعد لقتال الموحدين، فكمن الكمائن للإيقاع بهم، فلما فشل المرينيون، لجأوا إلى الحيلة والدهاء بأن أشاعوا أن صلحاً عقد بين المرتضى الموحدى وبين

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٥، ص ٣٩٩. ٤٠٠؛ عنان، عصر الموحدين، ص ٥٤٠، ٥٤١.

المرينيين، وعلى أثر ذلك انسحبت القوات الموحدية دون أن تصدر إليها الأوامر من المرتضى، فى حالة من الارتباك وفى غير نظام إلى مدينة أزمور،^(١) ولاحق بنو مرين قلول الجيش الموحدى المنسحب وانتزعوا منه الكثير من العتاد والأمتعة، بينما انسحب الخليفة المرتضى إلى مدينة مراكش.^(٢)

سارع المرينيون إلى استثمار هذا الانتصار الكبير، فتقدم الأمير أبو بكر بن عبد الحق المرينى إلى بلاد فازان فافتتحها وأحكم قبضته على أوطان زناته وفرض الضرائب عليهم جميعاً، ثم تقدم صوب المغرب الأقصى وتمكن من الاستيلاء على مدينة سلا فى نفس العام (٥٤٩هـ / ١٢٥١م)

(١) أزمور Azemmur مدينة صغيرة على شاطئ المحيط الأطلسى، تقع على الضفة اليسرى

لمصب نهر أم الربيع. وقد اشتهرت ببساتينها الغناء الممتدة على ضفتى النهر.

راجع: ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى المغرب والأندلس، تحقيق، د. أحمد مختار العبادى، الإسكندرية، ١٩٨٢م، ص ١٠٦؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق ٣، ٢٠٥.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، ح ٥، ص ٤٠٠، ٤٠١؛ عنان، عصر الموحدين، ص ٥٤١؛ الحريرى، تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس فى العصر المرينى، ص ٢٤.

وولى عليها ابن أخيه يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق المرينى،^(١) ولكن الجيش الموحدى سرعان ما أسترد سلا فى العام القالى (٦٥٠هـ/١٢٥٢م) وولى عليها أبو عبد الله بن يعلو من أشياخ الموحدين،^(٢) ويرى د. الحريرى أن نجاح الموحدين فى استرجاع سلا كان بسبب وجود حامية مرينية صغيرة بمدينة سلا لم تستطع مقاومة الجيش الذى أرسله الخليفة المرتضى.^(٣)

أصبح وقف بنى مرين عن التقدم غرباً إلى مدينتى سلا ورباط الفتح بالنسبة للموحدين مسألة حياة أو موت، ولذا عزم الخليفة المرتضى المسير بنفسه لقتال بنى مرين، فخرج من مدينة مراكش سنة ٦٥٣هـ (١٢٥٥م) - كعادته - إلى تينملل للتبرك بزيارة قبر المهدي بن تومرت، ثم اتجه صوب مدينة سلا على رأس جيش ضخم بلغ ثمانين ألفاً من الموحدين والعرب والمصامدة والأندلسيين، ثم غادر سلا فى تلك الحشود إلى مدينة فاس لاستردادها من أيدي المرينيين، وحدث اللقاء بين الجيشين الموحدى والمرينى فى موضع يسمى بجبل بهلول جنوب فاس حيث دارت الدائرة على جيوش

(١) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص ٢؛ ابن القاضى، جذوة الاقتباس، ق ١، ص ١٠٤؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، ج ٢، ص ٢٥٢؛ عنان، عصر الموحدى، ص ٥٤٢؛ الحريرى، المرجع السابق، ص ٢٤، ٢٥.

(٢) السلاوى الناصرى، المصدر السابق، ج ٢، ٢٥٣، ج ٣، ص ١٧.

(٣) تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس فى العصر المرينى، ص ٢٥.

الموحدين وفى ذلك يقول ابن عذارى المراكشى: " فكان سيف أبى بكر عليه بالنصر مسلولاً، فنصر الله بنى مرين على عساكر الموحدين، فهزموهم، واستأصلوهم أعظم استئصال بعد ما دام بينهم القتال، فلم يك إلا لمحة لامح أو صيحة صائح، إلا وقد انهزمت جيوشهم المتكاثرة، وصارت بعد انتظامها متناثرة واستولت بنو مرين على ائقال الموحدين وعلى مضارب المرتضى وجماعته، وعلى ما كان من الأطعمة وغيرها فى خزائنه، وعلى الأحمال والبغال والجمال والأموال. (١)

توفى الأمير أبو بكر بن عبد الحق المرينى فى شهر جمادى الآخرة، سنة ٦٥٦هـ (يونيو سنة ١٢٥٨م) بعد أن كان بنو مرين قد بسطوا نفوذهم على شرق وشمال المغرب الأقصى والسهول الغربية حتى وادى أم الربيع وبلاد الأطلس الأوسط، بينما انحصر نفوذ الموحدين فى المنطقة الواقعة بين وادى أبى رقراق ووادى أم الربيع وفيها سهل تامسنا وثغرا سلا ورباط الفتح. وقد ظهر خلاف حاد حول إمارة بنى مرين بعد وفاة الأمير أبى بكر ابن عبد الحق الذى لم يعهد لشخص معين من بعده بإدارة شؤون بنى مرين مما نتج عنه خلاف شديد بين الأمير أبى حفص عمر بن أبى بكر وبين عمه الأمير يعقوب بن عبد الحق فحين توفى الأمير أبو بكر كان يعقوب غائباً عن

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص ٤٠٦، ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص ٢٥٨، ٢٥٩؛ عنان،

عصر الموحدين، ص ٥٤٤؛ الحريرى، تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس فى العصر المرينى، ص ٢٥.

فاس مقر الحكم المريني حيث كان يقيم فى إقليم رباط تازا^(١) الذى كلفه أخوه الأمير أبو بكر بحكمه، بينما كان الأمير أبو حفص عمر حين وفاة والده متواجداً فى فاس، لذلك طمع عمر فى الإمارة ودعا الناس إلى بيعته ونصب نفسه أميراً على بنى مرين خلفاً لوالده، ولكن معظم أشياخ بنى مرين امتنعوا عن مبايعته. وما إن علم الأمير يعقوب بن عبد الحق بوفاة أخيه حتى توجه من رباط تازا إلى فاس، فالتف حوله أشياخ بنى مرين ورجبوا فى مبايعته مما كان سيؤدى إلى حدوث الفتنة والانقسام فى صفوف المرينيين، إلا أن الأمير يعقوب بن عبد الحق كان يسعى لإنهاء هذا الوضع المتأزم، فتنازل عن الإمارة لابن أخيه أبى حفص عمر على شرط أن يبقى ليعقوب إمارة المناطق التى كان أخوه الأمير أبو بكر قد أقطعه إياها وكلفه بحكمها وخاصة رباط تازا، وتم الاتفاق بينهما على ذلك، وعاد يعقوب إلى رباط تازا، ولكن أشياخ الموحدين لم يكونوا راضيين عن هذا الصلح، فلحقوا بيعقوب فى رباط تازا وبايعوه على الموت بين يديه فلما رأى إصرارهم على

(١) تازا TAZA ومعناها بالبربرية الصخرة، تقع فى شرق مدينة فاس، وتمتاز تازا بموقعها الاستراتيجى مما جعلها منذ أقدم العصور مركزاً حريباً له خطورتها، ومكانتها الحربية اتخذها الحسن بن إدريس الثانى مقراً حريباً كما عنى بها عبد المؤمن بن على الموحدى فجعلها حصناً منيعاً، وفى أيام بنى مرين اتخذها أبو يعقوب المرينى قاعدة لغزو تلمسان والمغرب الأوسط. راجع: البكرى، المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص ١١٨؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثالث، هامش (٢) ص ٢١٠، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، هامش (٢) ص ١١٤.

توليه الإمارة أجابهم إلى مايدعونه ووافقهم على أخذ البيعة منهم برباط تازا، ثم زحف إلى فاس حيث تمكن من إيقاع الهزيمة بابن أخيه أبي حفص عمر، ولكن الأمر انتهى بعقد الصلح بينهما وتم تنازل عمر عن الحكم لعمه يعقوب مقابل أن يقطعه مدينة مكناسة وأحوازها ودخل يعقوب بن عبد الحق فاس في شهر شوال سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م).^(١)

وكانت سلا - كما سبق أن أشرنا - قد خضعت لحكم الأمير أبي بكر ابن عبد الحق المريني عام ٦٤٩هـ (١٢٥١م) وعين عليها ابن أخيه يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق والياً من قبله، وقد استطاع الخليفة المرتضى الموحدي طرد بنى مرين من سلا وإعادةها إلى حكم الموحدين بعد عام واحد (٦٥٠هـ/١٢٥٢م) وعين أبو عبد الله بن أبي يعلى والياً على سلا، بينما فر يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق المريني حيث أقام في بعض أحواز سلا يتحين الفرصة لاستردادها فلما بويع الأمير يعقوب بن عبد الحق بحكم بنى مرين سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) اتجه يعقوب بن عبد الله إلى بلاد تامسنا مغاضباً لعمه يعقوب بن عبد الحق على أثر خلاف نشب بينهما، ولم تشر المصادر إلى أسباب هذا الخلاف إلا أنه يفهم من تسأريخ ابن عذارى

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، حـ، ص ٤١٥؛ ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص ٨٧، ٨٨؛ ابن خلدون، العبر، جـ ٧، ص ٢٢٤، ٢٣٥؛ القلقشندي صبح الأعشى، جـ ٥، ١٩٦؛ ابن القاضى، جنة الاقتباس، ق ١، ص ٤٩٢؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، جـ ٢، ص ١٩، ٢٠، جـ ٣، ص ١٠٥-١٠٨؛ عنان، عصر الموحدين، ص ٥٤٦.

المراكشي هذه الحادثة أن خروج يعقوب بن عبد الله على عمه كان بعد وفاة الأمير عمر بن أبي بكر المريني سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠م) إذ يبدو أن يعقوب بن عبد الله كان من انصار عمر بن أبي بكر وكان يرى أنه أحق بوراثته حكم بني مرين بعد أبيه أبي بكر، ولذلك حينما توفي الأمير عمر رأى يعقوب بن عبد الله أن الطريق أصبح ممهداً أمامه للمطالبة بحكم بني مرين وانتزاعه من يد عمه يعقوب بن عبد الحق خاصة وأنه في ذلك الوقت كان أكبر بني مرين.^(١) ولذلك لم يظهر يعقوب بن عبد الله في أول الأمر نواياه في الخروج على عمه، بل أظهر رغبته في الاستيطان في بلاد تامسنا رغبة في الإقامة بعيداً عن أمور السياسة والحكم ورغبة في ممارسة هواية الصيد بها، وحين وصل يعقوب بن عبد الله إلى بلاد تامسنا أخذ يراقب أوضاع مدينتي سلا ورياط الفتح رغبة في الاستيلاء عليهما واتخاذهما مقراً لظهور ثورته.^(٢)

أخذ يعقوب بن عبد الله يتأهب للاستيلاء على مدينة سلا وكان واليها الموحدى محمد بن أبي يعلى الكومي قد اتخذ كافة الاستعدادات لحماية المدينة والدفاع عنها: "فحفزها غاية الحفز بالسماز في الأسواق وبما أمكنه

(١) البيان المغرب، ج٥، ص٤١٦.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٥، ص٤١٦؛ ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص٩٨؛ ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٢٣٦؛ السلوى الناصري، الاستقصا، ج٢، ص٢١؛ الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ص٢٩.

من الحرز، وعمل المعارض على كل باب من أبواب العدوتين المذكورتين وجعل الرماة والرجال يحرسونها ولاساعة من ليل أو نهار يفارقونها. (١) اتجه يعقوب بن عبد الله برجاله ليلاً إلى مدينة سلا واستعملوا السلالم في الاستيلاء على سورها، وتمكنوا من قتل القائمين على حراسته، ثم كسروا أبواب المدينة ودخلوها وقاموا بأعمال السلب والنهب طوال الليل والنهار بينما فر أهلها عنها أما واليها محمد بن أبي يعلى فقد فر هو الآخر في سفينة صغيرة إلى مدينة أزمور، وتملك يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق المريني مدينتي سلا ورباط الفتح وذلك سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م). (٢)

(١) ابن عذاري، المصدر السابق، ج٥، ص٤١٦.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٥، ص٤١٦، ٤١٧.

يقول ابن أبي زرع ويتفق معه كل من ابن خلدون والصلابي الناصري ان يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق المريني استطاع ان يدخل مدينة سلا بالحيلة والدهاء، إذ دخلها بإذن من واليها الموحدى محمد بن أبي يعلى الكومى على أنه يريد دخول حمامها، حتى إذا ما دخل المدينة اتجه إلى قصبتها واحتوى بها وأخرج عنها ابن أبي يعلى الذى لم يجد وسيلة إلا الفرار بجرأ إلى أزمور ومنها إلى مراكش.

راجع: النخيرة السنية، ص٩٢، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٧، ص٢٣٦؛ الاستقصا، ج٣، ص٢١. وانظر أيضاً عنان، عصر الموحدين، ص٥٤٧، ٥٤٨؛ الحريري، تاريخ المغرب الإسلامى والاندلس فى العصر المريني، ص٢٩.

A.Ballesteros Beretta: La Toma de Salé en tiempos de Alfonso X El Sabio, Al- Andalus, 1943, Fasc, 1, P.114-115.

أعلن يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق المرينى -عقب استيلائه على رباط الفتح وسلا- خلع طاعة عمه يعقوب بن عبد الحق وصرف عزمه على منازعته، وضم إلى صفوفه الكثير من جند بنى مرين، ونظراً لحاجته إلى السلاح الذى يقوى جانبه ويستطيع أن يواجه به قوات عمه السلطان ويحقق مطامعه فى الحكم بدأ فى الاتصال ومراسلة تجار السلاح الذين كثر ترددهم على مدينة سلا وقتئذ لتزويده بما يحتاجه، ولم يكتف بذلك إذ رأى أنه لابد له من قوة عسكرية تكون إلى جانبه فى قتاله لعمه السلطان لذلك بعث إلى الفونسو العاشر (العالم) Alfonso X El Sabio ملك قشتالة يطلب منه أن يمدّه بمائتى مقاتل ليكونوا عوناً له، وفى نفس الوقت اتهم أشياخ سلا بالكتابة إلى عمه ومخاطبته سراً وخشى أن يبايعوه ويتمردون عليه، فأمر بنزع سلاحهم وكان على حد قول ابن عذارى: تدبيراً خالياً من السداد والصلاح.^(١)

وعندما وصل كتاب يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق إلى الفونسو العاشر ملك قشتالة، وجدها فرصة مناسبة للاستيلاء على مدينتى سلا ورباط الفتح ومد نفوذه إلى العدو المغربية مستغلاً فى ذلك ضعف يعقوب بن عبد الله وانشغال الأمير يعقوب بن عبد الحق بحربه ضد بنى عبد الواد

(١) البيان المغرب، حه، ص ٤١٧.

ملوك تلمسان،^(١) كما كان الفونسو العاشر يتطلع إلى نقل الحروب الصليبية من الميدان الأسباني إلى الميدان المغربي ولاسيما أن البابوية كانت من أشد المتحمسين لتلك الحروب الصليبية، فهناك وثيقة بابوية مؤرخة في الثامن من أكتوبر عام ١٢٤٦م وصادرة عن المجمع الديني المنعقد في مدينة ليون برئاسة البابا أنوسنت الرابع تحض على نقل الحروب الصليبية إلى الشمال الأفريقي وتنص صراحة على ضرورة الاستيلاء على مدينتي سلا ورباط

(١) ينسب بنو عبد الواد إلى قبيلة بنى الواد إحدى بطون قبيلة زناتة البربرية فهم أبناء عمومه لبني مرين، ولقد خضع بنو عبد الواد في بداية أمرهم للدولة الموحدية حين قوتها وتمكنها، وكانوا على عداوة مع أبناء عموماتهم المرينيين وكثيراً ما وقفوا إلى جانب الموحدين ضد بني مرين، كما استعانت بهم الدولة الموحدية في القضاء على تحركات وثورات المرينيين ضدها مما أدى إلى وجود عداوة بين البيتين المريني والعبد الوادي. وعندما أقام المرينيون دولتهم في المغرب الأقصى لم يرض أي من الطرفين من أن يجاور الآخر فاشتد النزاع بينهما ولاسيما أن بنو عبد الواد أدركوا إن استيلاء بني مرين على المغرب الأقصى يشكل خطراً كبيراً على دولتهم ولذا لجأ بنو عبد الواد إلى التحالف مع الموحدين قبل سقوط دولتهم والهجوم العسكري كلما سنحت لهم الفرصة على البلاد المرينية الشرقية المحاذية لهم والتحالف مع بني الأحمر حكام غرناطة. وكانت حدود دولة بني عبد الواد تمتد طولاً من البحر المتوسط شمالاً إلى صحراء الجزائر جنوباً، وعرضاً من جبال سعيدي وادي منية شرقاً إلى وادي ملوية ومدينة وجدة غرباً، وقد انتهت مملكة بنو عبد الواد سنة ٧٩١هـ (١٣٨٩م)

راجع: مؤلف مجهول، الاستبصار، ص ١١١، ١١٢؛ ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص ٢٥، ٢٦، ٦٥، ٨٩؛ ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٧؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٥، ص ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ٢٠٢؛ العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، ص ١٩٨، ١٩٩.

الفتح الاستراتيجيتين،^(١) ولذلك أخذ الفونسو العاشر فى تعمير أساطيله فى ميناء أشبيلية، وحين اكتمل استعداداه قرر إرسال حملة بحرية للاستيلاء على مدينة سلا.^(٢)

ويبدو أن القائمين على حماية وحراسة السواحل المغربية قد استشعروا بوجود خطر يهدد الثغور المغربية ولاسيما المطلة على المحيط الأطلسى ولذلك قام الفقيه أبو القاسم بن أبى العباس العزفى صاحب سبته بتحذير أهل السواحل المغربية، يؤكد ذلك الرسالة التى أرسلها الخليفة المرتضى إلى أبى القاسم العزفى يشكره على ما قام به من تحذير سكان السواحل المغربية وتاريخها الثالث من ذى القعدة سنة ٦٥٨هـ (نوفمبر سنة ١٢٦٠م).^(٢)

(١) A. Ballesteros Beretta, La toma de Salé en tiempos de Alfonso X El Sabio, P. 104-105.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، ح.ه، ص ٤١٧، ٤١٨؛ السلوى الناصرى، الاستقصا، ج ٣، ص ٢٩؛ عنان، عصر الموحدين، ص ٥٤٨؛ حركات، الجيش المغربى فى عهد بنى مرين، مجلة كلية الآداب بالرباط، العدد الثامن، ١٩٨٢م، ص ١٩، ٢٠، الحريرى، المرجع السابق، ص ٢٩.

A. Ballesteros Beretta, La toma de Salé en tiempos de Alfonso X El Sabio, P.114.

Miranda: La toma de Salé por la escuadra de Alfonso X, nuevo datos, R. Hesperis, année, 1952, 1 et 2, P.25-26.

(٢) أورد ابن عذارى نص هذه الرسالة ومنها: "وقد طرأ فى مدينة سلا جبرها الله سبحانه واستغلاها ما قد اتصل بكم مما كنتم أبدأ منه تحذرون وبه لعلمكم بالعدو الكافر تتذرون، ولكن لم تزد الأقدار لمن فيها إلا انهمالاً فى الأضاعة وإذهالاً لمن محل فى أعماله الساعة بعد الساعة، حين نفذ المقدور ووقع المحذور ولا حول ولا قوة الا بالله الذى تصير إليه الأمور."

راجع نص الرسالة فى البيان المغرب، ح.ه، ص ٤١٩، ٤٢٠.

اتجهت الحملة البحرية القشتالية فى أواخر رمضان ٦٥٨هـ (سبتمبر ١٢٦٠م) إلى سواحل سلا، ومن المرجح أن القشتاليين قد لجأوا إلى التمويه، حيث أرسلوا سفينة وراء سفينة أمام سواحل سلا متظاهرين أنهم جاؤا لعقد الصفقات التجارية، بينما كان معظم الأسطول القشتالى مرابطاً على مقربة من سلا، ولذلك ظن أهل سلا أنهم تجار جاؤا -كمعادتهم- للتجارة، بينما ظن يعقوب بن عبد الله أنها تحمل الجند المائتين الذين طلبهم من الفونسو العاشر ملك قشتالة، ولكن فجأة أخذت قطع الأسطول تتقدم بسرعة صوب سواحل سلا حتى بلغ عددها ما يقرب من سبع وثلاثين قطعة بحرية. وقد انتهز القشتاليون انشغال المسلمين بالاحتفال بعيد الفطر، فقاموا يوم الجمعة الثانى من شوال سنة ٦٥٨هـ (العاشر من سبتمبر ١٢٦٠) بالهجوم المباغت على مدينة سلا فدافع أهلها عنها دفاعاً مجيداً - بعد أن ذهب عنهم تأثير المفاجأة - واستشهد منهم الكثيرون، كذلك مات منهم الكثير فى الزحام عندما حاولوا مغادرة المدينة. أما عن يعقوب بن عبد الله، فقد كان متحصناً بالقصبة، "يعض على يديه على قبيح ما جرى ويشاهد ما تسبب فيه فعله، وبقي يعض بنانه ندماً وأسفاً على ما جرى لأهل سلا". وكان النصارى القشتاليون عندما دخلوا مدينة سلا غدرأ قتلوا من وجدوه من الرجال وسبوا النساء والأطفال: "فكانوا يعيثون فى النساء والأبكار ويقتلون الشيوخ والعجائز الكبار، فسفكوا الدماء وهتكوا الأستار وخربوا المساجد، والديار

وعمروا بالتراس والقسى الأسوار.^(١) وفى الوقت الذى هاجم فيه النصارى القشتاليون مدينة سلا واستولوا عليها كان السلطان يعقوب بن عبد الحق المرينى مقيماً فى مدينة تازا يستطلع منها أخبار بنى عبد الواد بالمغرب الأوسط، وكان السلطان المرينى قد وصل رباط تازا يوم الاثنين غرة شعبان من نفس العام (٦٥٨هـ / الثانى عشر من يوليو سنة ١٢٦٠هـ) فاقام فيها إلى اليوم الرابع من شوال فلما علم بما حدث لمدينة سلا، بادر على الفور بمغادرة رباط تازا فى نحو الخمسين فارساً وتوجه على وجه السرعة إلى سلا، فوصلها فى يوم ليلة بما يشبه الإعجاز العسكرى، وتتابعت عليه الإمدادات من أنحاء بلاد المغرب وإفريقية، فحاصر النصارى القشتاليين بمدينة سلا وضيق عليهم واستمر القتال ليلاً، نهاراً، وقد أيقن القشتاليون استحالة الاحتفاظ بسلا ولذا كان يخرجون الأسرى من أهلها والأموال والأمتعة إلى سفنهم المرابطة أمام سواحلها، وقد اضطر القشتاليون أخيراً إلى الانسحاب وذلك يوم الأربعاء الرابع عشر من شوال سنة ٦٥٨ هـ

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص٤١٨. وانظر أيضاً ابن زرع، روض القرطاس، ص٢٠١، الذخيرة السنية، ص٩٢؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، ج٢، ص٢١؛ عنان، عصر الموحدين، ص٥٤٨؛ السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص٣٢٩؛ حركات، الجيش المغربى فى عهد بنى مرين، ص٢٧، ٢٨؛ الحريرى، تاريخ المغرب الاسلامى والاندلس فى العصر المرينى، ص٢٩.
A.Ballesteros Beretta, La toma de Salé en tiempos de Alfonso X El Sabio, P.114.
Miranda, La toma de Salé por La escuadra de Alfonso X nuevo datos, P.27.

(الثانى والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٢٦٠هـ)^(١)، وعندما دخل السلطان يعقوب بن عبد الحق المرينى مدينة سلا، شرع فى بناء السور الغربى لها حيث لم يكن بها سور من تلك الجهة، كما عين السلطان على سلا أبا عبدالله بن أحمد الفنزارى وأمره باستمرار أعمال البناء والتشييد والإصلاح والتجديد^(٢). أما عن يعقوب بن عبدالله بن عبدالحق المرينى، فكان قد فر من القصبة إلى حصن علودان من جبال غمارة وامتنع به، فكلف السلطان يعقوب ابنه وولى عهده الأمير أبا مالك عبدالواحد والقائد على بن زيان بمطاردة يعقوب بن عبدالله ولكن دون جدوى، وقد ظل يعقوب خارجاً عن الطاعة إلى سنة ٦٦٨ هـ (١٢٦٩م) حيث قتل بساقية غبولة من ضواحي مدينة سلا^(٣).

أما عن النصارى القشتاليين، فقد خرجوا من سلا على وجه السرعة ودون أن يتزودوا بالماء والطعام، وساروا بحذاء الساحل ولكنهم فشلوا فى الحصول على الماء والطعام فقد تصدى لهم المسلمون على طول السواحل رجالاً وفرساناً وألحقوا بهم الكثير من الخسائر ومنعواهم من التزود بالماء

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٥، ص ٤٢١، ٤٢٢؛ ابن ابى زرع، روض القرطاس ص ٣٠١؛ الذخيرة السنية، ص ٩٢، ٩٤؛ القلقشندى، صبح الاعشى، ج٥، ص ٤٢٠، ٤٢١؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، ج٣، ص ٢١، ٢٢؛ ابن القاضى، جنة الاقتباس، ق٢، ص ٥٥٧، ٥٥٨؛ برونسسال، نخب تاريخية جامعة لاختيار المغرب الأقصى، باريس؛ ١٩٢٣م، ص ٥٣، ٥٤؛ عنان، عصر الموحدين، ص ٥٤٩؛ الحريرى، تاريخ المغرب الإسلامى والأندلسى فى العصر المرينى، ص ٢٠.

A. Ballesteros Beretta, La toma de Sale en Tiempos de Alfonso X El sabio, P. 115-117.

Miranda, La toma de Salé for La escuadra de Alfonso X, P.30-32.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص ٤٢٢؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، ج٣، ص ٢٢.

(٣) السلاوى، المصدر السابق، ص ٢٤؛ عنان، عصر الموحدين، ص ٥٤٩؛ الحريرى، المرجع

السابق، ص ٣٠.

والطعام، ووصلت منهم سفينة إلى جهة العرائش وأرادوا التزود بالماء فعجزوا، فحاولوا شراءه ببعض مالههم من أسرى المسلمين، فوافق أهل العرائش على تزويدهم بالماء مقابل إطلاق سراح ثلاثة وخمسين أسيراً أكثرهم من النساء والأطفال. وقيل إن الملك الفونسو العاشر ملك قشتالة، قرر حرق رؤسائهم لتفريدهم به في هذه المغامرة الفاشلة وطلب نحو عشرين منهم الأمان، فأمنهم السلطان يعقوب بن عبدالحق والحقهم بخدمته، وكان الفونسو العاشر - قبل أن يعلم بفشل تلك الحملة العسكرية القشتالية على سلا - قد جهز حملة جديدة لتكون مدداً لجنده في سلا، فلما علم بانسحابهم، أقسم على قتل قائدهم خوان غرسية، فلما علم الأخير بذلك فر في ثلاث سفن إلى ميناء الأشبونة^(١) وبقي مقيماً بها^(٢). وقد بلغ عدد الأسرى من أهل سلا الذين تجمعوا في مدينة إشبيلية ما يقرب من ثلاثة آلاف أسير أكثرهم من الأطفال والشيوخ، وقد اقتدى أهل مدينة شريش^(٣)

(١) تقع الأشبونة (لشبونة الحالية) على الضفة الشمالية لنهر تاجة TAIO عند مصبه في المحيط الأطلسي. يصفها الإدريسي: "وهي مدينة حسنة ممتدة مع النهر ولها سور وقصبة منيعة".

راجع: الإدريسي، صفة المغرب، ص ١٨٣ - ١٨٦؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص ٣٥٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص ١٦-١٨.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٥، ص ٤٢٢؛ عنان، عصر الموحدين ص ٥٤٩.

(٣) شريش مدينة في غرب الأندلس، تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة بطليوس، وهي مدينة كبيرة ضخمة الأسواق، وتكثر بها المزارع ويحيط بها أشجار الكروم.

راجع: - الحميري، الروض المعطار، ص ٢٤٠.

المقرئ، نفح الطيب، ج١، ص ٤٦٧.

منهم ثلاثمائة وثمانين شخصاً. وفي منتصف شهر ذي القعدة سنة ٦٥٨هـ (أكتوبر سنة ١٢٦٠م) بعث السلطان يعقوب بن عبدالحق المريني مبعوثاً إلى الأندلس هو أبو بكر بن يعلى لافتداء أسرى سلا، وقد نجح في مهمته وتمكن من افتداء الجزء الأكبر وكان من بين من أطلق سراحهم قاضى سلا، وقد بقى لدى القشتاليين عدد آخر من أسرى سلا: "متوفين لا يعلم لهم خبر ولا وقع لهم على أثر هل كانوا مقتولين أو محمولين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"^(١).

وقد ظلت سلا موضع اهتمام ورعاية سلاطين بني مرين ففي عام ٦٦٩هـ (١٢٧١م) غادر السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني مدينة مراكش متوجهاً إلى رباط الفتح ومنها إلى مدينة سلا، وهناك أصابه مرض جعله يتخذ اجراءات سريعة لتعيين ولي عهد للدولة، فجمع أشياع بني مرين في مدينة سلا وأخذ عليهم العهد بولاية ولده أبي مالك عبدالواحد^(٢)، ولكن لم يقدر للأمير أبي مالك أن يتولى حكم بني مرين، إذ سبق الأجل إليه، فتوفي في حياة والده عام ٦٧١هـ (١٢٧٢م) بمدينة فاس، وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة، فقرر السلطان يعقوب بن عبدالحق اختيار ابنه الثاني الأمير يوسف ولياً للعهد خلفاً لأخيه، وسار السلطان إلى مدينة سلا، وأخذ بها البيعة بولاية العهد لابنه يوسف وذلك في الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام ٦٧١هـ

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، حـ، ص ٥٢٢، ٤٢٣؛ وانظر أيضاً عنان، عصر الموحدين، ص ٥٤٩، ٥٥٠.

(٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٣٠٨؛ ابن خلدون، العبر، جـ ٧، ص ١٨٣؛ السلاوي، الاستقصا، جـ ٢، ص ٢٩.

(١٢٧٢م) (١).

لم تشر المصادر التاريخية المعاصرة للدولة المرينية بعد ذلك لمدينة سلا
فيما عدا إشارة أو لمحة موجزة في حوادث عام ٧١٣ هـ (١٣١٤م) حيث
أشار ابن الخطيب إلى تولية أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف بن
نصر مدينة سلا في شهر رمضان من نفس العام (٢).

(١) ابن أبي زرع، النخيرة السنية، ص ١٣٥؛ السلوى، الاستقصا، ج ٣، ص ٢٩، ٣٠. وقد حضر
هذا الاحتفال بمدينة سلا الشاعر أبو فارس عبدالعزيز بن عبدالواحد بن محمد اللزوني المعروف
بعزوز وكان من مشاهير شعراء بني مرين فانشد

لله درك ياسلا من بلدة
قد حُزّت برأ ثم بحرأ طامياً
من لم يُعَين مثل حسنك ما اشتقا
وبذاك زدت ملاحه وتزخرفاً

ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٤، ص ٢٣.

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ٤، ص ٢٤٢

بعض مظاهر الحضارة بمدينة سلا

أولاً : الحياة الاقتصادية؛

(أ) الزراعة

ازدهرت الزراعة ازدهاراً عظيماً في مدينة سلا طوال مراحل تاريخها نتيجة لوفرة المياه بها من نهري أم الربيع وأبى الرقراق^(١)، كما شهد العصر الموحدى جهوداً كبيرة لتوفير المياه سواء للشرب أو الزراعة، فقد اهتم الخليفة عبدالمؤمن بن علي بإدخال الماء إلى سلا عن طريق القنوات المتصلة بإحدى العيون المائية وذلك سنة ٥٤٥ هـ (١١٥٠م) حتى يوفر مياه الشرب للناس ولسقى الأرض، إلا أن الإهمال أصاب مشروع المياه وقد ظهر ذلك واضحاً حين زار الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن سلا سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠م) إذ رأى الماء فسد جريه، وأسن ماؤه وانتشر في البطاح ومن هنا أمر بتجديد المشروع وأضاف إليه صهريجاً يتجمع فيه الماء^(٢). أما في عصر بنى مرين فقد اهتم السلطان أبو الحسن المريني بمشروعات الري وتوصيلها إلى مستعمليها وقد أنفق أبو الحسن أموالاً طائلة لتوصيل المياه إلى داخل سلا حيث الموضع المعروف باسم برج حمام^(٣). وبالإضافة إلى

(١) نهرا أم الربيع وأبو رقرق ينبعان من جبال حنهاجه (الأطلس المتوسط) ويصبان في البحر المتوسط، ويعد نهر أم الربيع من أهم أنهار المغرب الأقصى لوفرة مياهه، وانتظام جريانه. عبدالواحد المراكشى، المعجب، ص ٥١٢.

(٢) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص ١١٣؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامه، ص ٤٤٨؛ ابن أبي زدع، روض القرطاس، ص ١٢٥، ١٢٦؛ السلوى، الاستقصاء، ج ٢، ص ١١٩؛ حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص ٣٨٧.

(٣) ابن مرزوق، المسند، ص ١٨٩؛ الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ص ٣٢٨.

توافر مياه الري امتازت سلا أيضاً بتوافر الأيدي العاملة المهرة فى مجال الزراعة، إذ توارد عليها مهرة المزارعين من أفريقية وأنشأوا بها البساتين وعلموا أهلها فنون الزراعة^(١). ومن أشهر محاصيلها الزراعية: قصب السكر^(٢)، والقطن والكتان^(٣) والكروم^(٤).

(ب) الصناعة

ازدهرت الصناعة فى مدينة سلا نتيجة لتوافر المواد الخام اللازمة لقيام الصناعات المختلفة ومنها. الحديد^(٥) والأخشاب^(٦)، فضلاً عن المواد الخام الزراعية كالقطن والكتان وقصب السكر. ومن أبرز تلك الصناعات. صناعة قصب السكر حيث كان يوجد بسلا الكثير من معاصر السكر^(٧)،

(١) حركات، المغرب عبر التاريخ، ج١، ص ٢٥٧.

(٢) المنونى، ورقات عن الحضارة المغربية فى العصر المرينى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٧٩، ص ١١٢؛ موسى (عز الدين أحمد) النشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى خلال القرن السادس الهجرى، دار الشروق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٣، ص ١٩٥.

(٣) ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى المغرب والأندلس، ص ١٠٤؛ المقرئ، نفح الطيب، ج٢، ص ٢٧٦، ٢٧٧؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، ج٢، ص ١٢٧، ١٢٨؛ المنونى، ورقات عن الحضارة المغربية، ص ١١١.

(٤) الإدريسى، حفة المغرب، ص ٧٣؛ الحميرى، الروض المعطار، ص ٣١٩.

(٥) يقول المراكشى : وبين سلا ومراكش قريباً من ساحل البحر الأعظم بمقدار يوم أو أكثر قليلاً موضع يدعى ابسنتار فيه معدن حديد كان يقصده من أراد حمل الحديد منه. المعجب، ص ٥٠٩، ٥١٠.

(٦) الجزنائى (أبو الحسن على) : جنى زهرة الأس فى بناء مدينة فاس تحقيق عبدالوهاب بن منصور، الرباط، ١٩٦٧م، ص ٢٨.

(٧) القلقشندى، صبح الأعشى فى صناعة الانشاء، ج ٥، ص ١٧٦؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى، ص ٢٤؛ الحريرى، تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس، ص ٢٨٥.

والصناعات الخشبية^(١)، والصناعات الجلدية^(٢)، وصناعة الملابس القطنية والكتانية^(٣).

(ج) التجارة

كان من الطبيعي مع ازدهار الزراعة والصناعة أن تزدهر التجارة فقد كان ميناء سلا من أهم موانئ المغرب الأقصى الواقعة على المحيط الأطلسي وكان يستقبل السفن المختلفة وفي مقدمتها السفن الأندلسية وفي ذلك يقول الإدريسي: "ومراكب أهل إشبيلية وسائر المدن الساحلية من الأندلس يقلعون عنها (أي عن ميناء سلا) ويحطون بها بضروب من البضائع وأهل إشبيلية يقصدونها بالزيت الكثير وهو بضاعتهم ويتجهزون منها بالطعام إلى سائر بلاد الأندلس الساحلية"^(٤). ويمضي الإدريسي قائلاً: "والمراكب الواردة عليها لا ترسى منها في شيء من البحر لأن مرساها مكشوف وإنما ترسى المراكب بها في الوادي وتجوز المراكب على فمه بدليل لأن في فم الوادي أحجار وتروش تنكسر عليها المراكب وفيه أعطاف لا يدخلها إلا من يعرفها وهذا الوادي يدخله المد والجزر في كل يوم مرتين، وإذا كان المد دخلت المراكب به إلى داخل الوادي وكذلك تخرج وقت

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٤٤٩؛ عبدالواحد المراكشي، المعجب، ص ٣٥٩؛ الجزنائي، زهرة الأس، ص ٢٨؛ الفاسي، نشأة الدولة المرينية، مجلة البيئة، العدد الثامن، السنة الأولى، رجب ١٣٨٢ هـ / ديسمبر ١٩٦٢م ص ٢٦.

(٢) ازدهرت صناعة دباغ الجلود في سلا في عصر الموحدين، عز الدين موسى، المرجع السابق، ص ٢٣٠.

(٣) الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحيى) : المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، طبعة فاس، ١٢ جزء دون تاريخ، ج ٥، ص ٢٥٨.

(٤) الإدريسي، صفة المغرب، ص ٧٣؛ وانظر أيضاً، الحميري، الروض المعطار، ص ٢١٩.

خروجها" (١).

كان لسلا علاقات تجارية مع الجنوبيين، فقد مُنح الجنويون امتيازات تجارية مع بلاد المغرب، يتضح ذلك من اتساع حجم التبادل التجارى مع موانئ المغرب الأقصى ولا سيما مع سلا، حتى قيل إن الجنوبيين فكروا فى غزو سلا والاستيلاء عليها (٢)، كذلك كانت لسلا علاقات مع الممالك المسيحية فى أسبانيا حتى ظن أهل سلا عندما رأوا السفن القشتالية أمام سواحلهم سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠م) أنها جاءت - كعادتها للتجارة (٣).

كذلك نشطت التجارة الداخلية البرية حيث كانت سلا ملتقى للطرق السهلية والجبلية فى المغرب الأقصى (٤).

(د) صيد الأسماك

عرفت سلا - شأنها شأن المدن الساحلية - حرفة صيد الأسماك، وقد أشار الإدريسي إلى كثرة الأسماك فى وادى سلا وكيف أنها لا تباع ولا تشتري لكثرتها بقوله: "وفي هذا الوادى أنواع من السمك وضروب من الحيتان والحوث بها لا يكاد يباع ولا يشتري لكثرتة وجودته (٥) ومن أشهر

(١) الإدريسي، المصدر السابق، ص ٧٣.

(٢) Byrne (E.H.,) "Commercial contracts of the Genoese in the syrian trade of the Twelfth Century " the quarterly Journal of Economics, 1916-1917, Vol, XXXI, P. 130-133.

(٣) ابن عذارى، البيان المغرب، ح ٥، ص ٤١٨؛ ابن أبي ذرع، روض القرطاس ص ٣١؛ السلاوى الناصرى، الاستقصا، ج ١، ص ٢١.

(٤) Célérrier, J., "1" Atlas et la Circulation au Maroc, Hespéris, 1927, (٤) Tome, VII, P. 445-446.

(٥) الإدريسي، صفة المغرب، ص ٧٣؛ وانظر أيضاً الحميرى، الروض المعطار، ص ٣١٩.

أنواع أسماكها الشابل الذى يصفه ابن الخطيب بقوله : وكفى بالشابل رزقاً طرياً وسمكاً بالتفضيل حرياً، يبرز عدد قطر الديم ويباع ببخس القيم، ويعمم حتى المجاشر (القرى) النائية والقرى^(١).

كما عرفت سلا أيضاً حرفة الرعى ولا سيما رعى الجمال^(٢) وكان لكل فرقة من الصناع أو التجار رؤساء يختارونهم من بينهم ويسمون بالأمناء، حيث كانت لهم حرية التصرف فى مصالح المهنة التى يترأسونها فقد أسس أمناء التجار وصناع الملابس بمدينة سلا صندوقاً احتياطياً كان دخله من درهم واحد يأخذونه عن كل قطعة من الملابس تباع، وقد خصصوا حصيلة هذا الصندوق لمواجهة مايفرض عليهم من ضرائب استثنائية أو عادية^(٣). كما كانت سلا تمثل إحدى الاقاليم التى كانت تُجبى منها الأموال فى عصرى الموحدين وبنى مرين^(٤).

(١) مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى المغرب والأندلس، ص ١٠٥، ١٠٦؛ وانظر أيضاً، مجهول، الاستبصار، ص ١٤١.

(٢) ابن الخطيب، مشاهدات، ص ٦٠.

(٣) الونشريسي، المعيار، ج ٥، ص ٢٥٨؛ محمد المنونى، ورقات عن الحضارة المغربية فى عصر بنى مرين، ص ١١٠.

(٤) الحكيم (ابو الحسن علي بن يوسف) : الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة، تحقيق د. حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ١١٩، ١٢٠.

ثانياً: المنشآت المعمارية

(١) المنشآت الدينية

(أ) المساجد

يعتبر جامع الشعبة من أقدم مساجد سلا، بناه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وقد جلبت عمده الرخامية الصفراء من مدينة شالة التي كان بها أقدم مسجد بناحية سلا^(١). والمسجد الأعظم، وقد أمر يعقوب المنصور الموحدي ببناء المسجد الأعظم وفي ذلك يقول صاحب الروض المعطار: "كان يعمل في بنائه ونقل حجارته وترابه سبعمائة أسير من أسارى الفرنج في قيودها"^(٢). كما أشار صاحب الاستبصار إلى قيام العشرين أصحاب سلا ببناء مسجد وأنه لم يبق منه سوى المنار، أما السقف فقد تهدم واحتوى الغرباء في بنائه سنة ٥٧٤ هـ (١١٧٨ م)^(٣).

(١) هركات، المغرب عبر التاريخ، ج١، ص ٢٤٢.

(٢) الحميري، الروض المعطار، ص ١٤٠؛ السلاوي، الاستقصا، ج٢، ص ١٩٥؛ هركات، المرجع

السابق، ص ٢٦٦؛ السويسي، تاريخ رياط الفتوح، ص ٢٨.

(٣) مؤلف مجهول، الاستبصار، ص ١٤٠.

(ب) الأربطة والزوايا

(١) رباط سلا

كانت سلا رباطاً على دولة برغواطة وفي ذلك يقول ابن حوقل : " وبسلا رباط يربط فيه المسلمون وعليه المدينة الأزلية المعروفة بسلا القديمة وقد خربت، والناس يسكنون ويرابطون رباطات تحف بها، وربما اجتمع في هذا المكان من المرابطين مائة ألف إنسان، يزدون في وقت وينقصون لوقت، ورباطهم على برغواطة من قبائل البربر على البحر المحيط متصلين بهذه الجهة التي شفت عمارة بلد الاسلام إليها يغزون ويسبون^(١).

(٢) رباط الفتح

وهو الرباط الذي نزل فيه الفقيه الشهير أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر الانصارى المعروف بابن عاشر والمتوفى بسلا في شهر رجب سنة ٧٦٥ هـ (١٣٦٣ م)^(٢).

(١) ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي) : صورة الأرض، طبعة بيروت ١٩٦٢ م، ص ٨٢؛ حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٥٧ م، ص ١٣٦؛ العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، ص ٢٩٤.

(٢) ابن القاضى، جذوة الاقتباس، ق ١، ص ١٥٣.

(٣) زاوية السلطان أبى الحسن المرينى

شيد السلطان أبو الحسن المرينى داخل سور مدينة سلا زاوية حسنة التخطيط مكتوب على بابها الغربى الكبير العجيب البناء البديع المثال بخط كوفى رائع بعد الافتتاح بالتعوذ والبسمة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم : " أمر بهذا مولانا السلطان الأجل العادل المقدس المجاهد أمير المسلمين ناصر الدين أبو الحسن ابن السلطان الأجل الصالح العادل المجاهد المقدس أمير المسلمين ناصر الدين أبى يوسف يعقوب بن عبدالحق خلد الله ملكهم. وكان الفراغ منه فى آخر ذى الحجة عام تسعة وثلاثين وسبعمائة^(١).

(٤) زاوية النسك

ما زالت أطلال زاوية النسك قائمة خارج سور سلا وهى من جملة الزوايا العديدة الجميلة التى بناها السلطان أبو عنان فارس المرينى فى خارج المدن المغربية لتكون بمثابة دور للضيافة ينزل فيها الرحالة والمسافرون على اختلاف طبقاتهم. وزاوية النسك قد تم بناؤها فى السابع والعشرين من شعبان سنة ٧٥٧ هـ (الثانى عشر من اغسطس سنة ١٣٥٦م) وكانت تشتمل على حديقة جميلة وغرف عديدة وقاعة للصلاة وميضاة فى الجهة القبلىة منها مزودة بالمياه الجارية من بئر هناك. وكان للزاوية بابان كبيران

(١) السويسى ، تاريخ رباط الفتح، ص ٧٩ ، ٨٠.

أحدهما يتجه نحو مدينة سلا والآخر يتجه نحو مدينة شالة - الجبانة الملكية
لبنى مرين - وقد تهدمت زاوية النساك عقب حريق شب فيها ولا يُعرف
تاريخه بالضبط وما زالت أطلالها باقية إلى الآن^(١).

(٥) زاوية أبى زكرياء الحاحى^(٢)

تقع زاوية أبى زكرياء الحاحى غربى المسجد الأعظم بسلا^(٣).

(٦) زاوية اليابورى

وتنسب إلى الفقيه أبى عبدالله اليابورى^(٤).

(١) ابن الخطيب، نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب، نشر د. احمد مختار العبادى، القاهرة،
١٩٦٧م، ص ١٧٠، هامش (٢) ص ١٧٠، ١٧١، ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب،
ص ١٠٤.

(٢) أبو زكرياء يحيى بن أبى عمرو عبد العزيز بن عبدالله بن يحيى، ظهر فى أواخر القرن السابع
الهجرى، وتاريخ وفاته مجهول، وهو مدفون بتينفرا من بلاد حاحه، ويعرف أصحابه باللاحيين.
محمد المنونى، ورقات عن الحضارة المغربية فى عصر بنى مرين ص ٢٣٦-٢٣٧.

(٣) محمد المنونى، المرجع السابق، ص ٢٠٧.

(٤) ابن القاضى، جنوة الاقتباس، ق ١، ص ١٥٣.

(٢) المنشآت المدنية

١ - المدارس

اهتم الموحدون ببناء المدارس بمدينة سلا، ولو أنه لم يبق لها أثر، إذ من المحتمل أن المرينيين هدموها وأقاموا مكانها مدارس تحمل اسم ملوكهم وطابعهم الخاص. ومن المدارس التي ذكرها المؤرخون مدرسة المسجد الأعظم بالطالعة، وقد انطمست معالمها بينما ظلت مدرسة المرينيين قائمة، ومدرسة المهدية التي بناها يعقوب المنصور بمدينة سلا^(١). كما ابتنى السلطان عليها أبو الحسن المريني المدرسة العظمى بطالعه سلا قبلى المسجد الأعظم". بناها على هيئة بديعة وصنعة رفيعة وأودع جوانبها من أنواع النقش وضروب التخريم ما يحير البصر ويدهش الفكر". كما أوقف السلطان الكثير من الأوقاف: "رصع أسماها بالنقش والاصباغ على رخامة عظيمة، ثم نصب الرخامة بالحائط الجوفى منها كل ذلك محافظة على تلك الأوقاف أن تغير^(٢). كما ابتنى السلطان أبو عنان فارس المريني بسلا المدرسة العجيبة بحومة باب حسين، وقد صارت اليوم فندقاً يُعرف بفندق أسكور^(٣).

(١) ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص ١٥٧؛ السلاوى، الاستقصا، ج ٢، ص ١٩٨؛ محمد المنونى، وريقات، ص ٢١.

(٢) السلاوى الناصرى، الاستقصا، ج ٢، ص ١٥٧.

(٣) السلاوى الناصرى، الاستقصا، ج ٢، ص ٢٠٦.

٢- الفنادق والقيساريات والبيمارستانات

نظراً لأهمية سلا التجارية، فقد انشأت فيها الكثير من الفنادق، وكان يطلق على الفندق اسم السلعة التي تباع فيها، ومن ذلك ماورد في ترجمة أبى موسى الدكالى أحد مشاهير المتصوفين في مدينة سلا أنه كان يقيم بفندق الزيت^(١). وكذلك المدرسة العجيبة التي انشأها السلطان ابى عنان فارس المرينى والتي تحولت الى فندق عُرف بفندق أسكور^(٢). كما كان يوجد بسلا قيسارية، فقد وصف ابن الخطيب قيسارية سلا بقوله: "وقيسارية حقيرة"^(٣). كذلك اشار ابن الخطيب الى وجود بيمارستان في سلا لعلاج المرضى^(٤).

٣- القصور

(أ) قصر بنو عشرة

بنو عشرة أسرة أندلسية من مدينة قرطبة. وأول من وفد منهم إلى بلاد المغرب واستقر بسلا أبو العباس أحمد بن القاسم الذى تولى قضاء سلا في عصر المرابطين، وقد شيد أبو العباس قصراً بسلا لإقامته وأتقنه، ولما فرغ من بنائه وصفته الشعراء وهنائه ودعت له، وكان بسلا يومئذ الشاعر

(١) التادلى (أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبدالرحمن) : التشوف إلى رجال التصوف؛ نشره وصححه أدولف فور، طبعة الرياط، ١٩٥٨م من ١٨٦، ١٨٧.

(٢) السلاوى الناصرى، الاستقصا، ج٣، ص ٢٠٦.

(٣) مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص ٦٢.

(٤) ابن الخطيب، مشاهدات، ص ١٠٤.

أبو الحسين علي بن الحمار، وكان ممن برع في الألحان وعلمها، وهو من أهل غرناطة، واشتهر عنه نظم الشعر وتلحينه والغناء به، ولم يكن ابن الحمار قد أعد شيئاً، ففكر قليلاً ثم ارتجل قائلاً:

يا أوجد الناس قد شيدت واحدة فحل فيها حلول الشمس في الحمل
فما كدارك في الدنيا لذي أمل ولا كدارك في الآخرة لذي عمل^(١)

(١) المقرئ نفع الطيب، ج ٥، ص ٢٧٦، السلاوي الناهري، الاستقصا، ج ٢، ص ١٠٨؛ وكانت لأسرة بنو عشرة الكثير من الأيادي البيضاء، فهذا هو الشاعر محمد بن سوار الأشبوني، وكان قد وقع أسيراً، ففداه أبو العباس أحمد بن القاسم بن عشرة فمدحه:

أحب سلا من أجل كونك من سلا

فكل سلاوي إلى حبيب

لصيرتها مصراً ونيلك نيلها

وكفك بطحاها وأنت خميب

وقوله أيضاً

رايتك أندي الناس كفاً وكل ما

تجود به فالله ينمي للآخرى

ولولاك ما فأك السلاسل ضاغط

وما فارقت عيناى سلسلة الاسرى

وخيرت عيشي في جنابك بالذي

منتت به حلواً وكم ذقته مرأ

على ذاك لا أنفك أخلص داعياً

إلى الله أن ينمي لك الجاه والعرا.

راجع : ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى بن محمد) المغرب في حلى المغرب، تحقيق د. شوقي ضيف في جزئين، القاهرة ١٩٥٢-١٩٥٥م، ج ١، ص ٤١٢.

كذلك مدح الشاعر عيسى بن الوكيل أبي الحسن علي بن القاسم بن محمد بن عشرة بقصيدة مشهورة جاء فيها.

وعندما وصل المهدي بن تومرت إلى سلا نزل بقصر بنو عشرة حيث كان يأتيه تلاميذه فيأخذون عنه العلم^(١)، وعندما فتح عبد المؤمن بن علي سلا نزل بقصر ابن عشرة^(٢)، كما نزل فيه يحيى بن العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس وفي ذلك يقول ابن الخطيب: "ولما اضطربت حاله (أي يحيى) بظهور دولة لمتونة، لحق بقسنطينة، ثم نزل عنها للموحدين مستأمناً لنفسه، وسكن بقصر ابن عشرة من سلا، وكانت وفاته به^(٣)".

= سُل البرق إذ يلتاح من جانب البرقا

أقرطى سليمى أم فزادى حكى خفقا

ولم أسبلت تلك الغمامة دمعها

أريعت لوشك البين أم ذقت العشقا

ومنها غريب بأرض الغرب فرق قلبه

فأوت سلا فرقا ويا بره فرقا

إذا ما بكى أونا ح لم يلف مسعداً

على شجرة إلا الغمام والورقا

وكان السبب وراء مدحه بهذه القصيدة أن عيسى بن الوكيل كان يعمل في جباية الضرائب على مدينة غرناطة على أيام المرابطين، فحدث لديه عجز قدرة عشرة آلاف دينار، فقبض عليه وكتب وأرسل إلى مراكش فلما مر بسلا وبها يومئذ بنو عشرة، قال هذه القصيدة يمد. القاضي أيا الحسن بن عشرة ويستجير به، وسأل ايصالها إليه، فلما أطلع عليها، أمر بإطلاق سراحه ودفع ما عليه من دين وطلب اعادته الي عمله، فوافق أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين واعاده إلى عمله في غرناطة.

راجع، الحميري، الروض المعطار، ص ٦١٥.

(١) البيهقي، اخبار المهدي بن تومرت، ص ٥٥.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، ص ٥٥، ص ٢٥؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص ١٢٦؛ ابن خلدون،

العبر، ج ٦، ص ٢٢٢

(٣) أعمال الاعلام، القسم الثالث، ص ١٠٠

٤- القناطر

١ - قنطرة سلا

شيد الخليفة عبدالمؤمن بن علي قنطرة بين مدينتي سلا والمهدية، إلا أنها تصدعت بتأثير قوة التيار، لذلك حين زار الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن سلا سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠م) أمر بإقامة قنطرة جديدة إلى جانب القنطرة القديمة التي شيدها عبدالمؤمن وقد وصفها صاحب الاستبصار بأنها مركبة على ثلاثة وعشرين معدية مدت عليها أوصال الخشب وصلبت عليها الألواح والفرش الوثيق الذي لا يؤثر فيه الحافر، تجوز عليها العساكر والمسافرون، ويمد البحر فترتفع القنطرة ويتغطى الجسر، فتعوم عليه المراكب وترسو دونه السفن الكبيرة^(١).

٥- سور الأقواس

شيد السلطان أبو الحسن المريني السور المحمول عليه الماء الداخل إلى سلا المعروف بسور الأقواس وهو "من المباني العادية والهيكل العظيمة التي تدل على فخامة الدولة وكمال قوتها مثل ما يقال عن حنايا قرطبة ونحوها"^(٢). وهذا السور: "مسوق من عيون البركة خارج مدينة سلا على أميال كثيرة ممتداً من القبلة إلى الجوف على أضخم بناء وأحكمه، موزون

(١) مؤلف مجهول، الاستبصار، ص ١٤١؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص ٤٤٩؛ المراكشي، المعجب، ص ٥٠٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٣١٩؛ العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣٤١؛ عنان، عصر الموحدين، ص ٦٦، حركات، المغرب عبر التاريخ، ص ٣٧٠.

(٢) السلاوي الناصري، الاستقصا، ج ٣، ص ١٥٧، ١٧٦.

سطحه بالميزان الهندسى ليتأتى جريان الماء فوقه على استواء، ولذلك ينخفض إلى الأرض متى ارتفعت ويعلو عنها إذا انخفضت ويجرى على متنة من الماء مقدار النهر الصغير فى ساقيه قد اتخذت له، ولما شارف البلد عظم ارتفاعه جداً لأجل انخفاض الأرض عنه كلما مر فى سيره بطريق مسلوكة فتحت له فيه أقواس فسمى لذلك سور الأقواس، فهد شاهد لبانيه بضخامة الدولة وعظم الهمة^(١).

(٣) المنشآت العسكرية

(أ) بناء سور سلا

كانت مدينة سلا مسورة من جهاتها الأربع إلا أن الخليفة عبدالمؤمن بن على هدم أسوارها سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧م)^(٢)، ثم أعاد حفيده يعقوب المنصور بناء أسوارها ماعدا الجهة الغربية التى بقيت دون سور الى ان هاجمها النصارى القشتاليون سنة ٦٥٨ هـ (١٢٦٠م)، فبعد انسحابهم منها رأى السلطان يعقوب بن عبدالحق المرىنى ضرورة تأمين هذا الثغر المهم حتى لا يقتحمها أحد من ناحية البحر، لذلك شرع فى بناء السور الغربى لمدينة سلا، فبناء من أول دار الصناعة وامتد إلى البحر، وكان السلطان يقف على بنائه بنفسه، ويرفع الحجر بيديه ابتغاء لثواب الله تعالى

(١) السلاوى، نفسه، ص ١٧٦.

(٢) السلاوى، الناصرى، الاستقصا، ج ٢، ص ٢٢.

وتواضعاً^(١) واستكمالاً لتحصين سلا أقام السلطان يعقوب بن عبدالحق في هذا السور برجاً حربياً عالياً يعد من أعظم أبراج المدينة وأحسنها وأكبرها اتساعاً وارتفاعاً وقد عُرف باسم برج الدموع^(٢). ولما صارت سلا مدفناً لسلطين بنى مريّن اهتم بها السلطان ابو الحسن المرينى وأدار عليها السور المربع " السامى الارتفاع تتخلل مسافاته أبراج مربعة على هيئة أسوار المدن الكبرى^(٣).

(أ) دار الصناعة بسلا

اهتم الموحدون اهتماماً كبيراً بإنشاء دور الصناعة على طول السواحل المغربية والأندلسية بهدف إنشاء بحرية إسلامية قوية تستطيع حماية سواحل عدوتى المغرب والأندلس من الأخطار الخارجية. وقد أشار ابن أبى زرع إلى أنه فى سنة ٥٥٧ هـ (١١٦٢م) أنتجت دور الصناعة فى العدوتين أسطولا من أربعمئة قطعة منها فى سلا والمعمورة مائة وعشرون قطعة^(٤). أما أول من اهتم من المرينيين بالأسطول فهو السلطان يعقوب بن

(١) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص ٣٠١، الأذخيرة السنية، ص ٩٤؛ ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص ٥٨؛ ابن القاضى، جزوه الاقتباس، ق ٢، ص ٥٥٨؛ السلاوى الناصرى، الاستقصاء، ج ٢، ص ٩٤؛ ج ٣، ص ٢٢؛ السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص ٧٩؛ الحريرى، تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس فى العصر المرينى، ص ٣٢٩.

(٢) سعى بهذا الاسم لأن السلطان يعقوب بن عبدالحق المرينى حين شارك فى بناء هذا السور، كان يبكى متأثراً مما حل بالمدينة وأهلها على أيدي النصارى. السلاوى الناصرى، ج ٣، ص ٢٢.

(٣) السويسى، تاريخ رباط الفتح، ص ٧٩.

(٤) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص ٢٠٠، ٢٠١؛ وانظر أيضاً ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص ٢١٢، ٢١٤؛ العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٣٦، ٢٣٧؛ عز الدين موسى، النشاط الإقتصادى فى المغرب الإسلامى، ص ٢٢٣.

عبدالحق الذي يرجع إليه الفضل في بناء دار الصناعة بسلا على يد المهندس الأندلسي محمد بن علي بن عبدالله بن محمد بن الحاج الإشبيلي^(١). وقد بنيت قبلى مدينة سلا من جهة وادى أبى الرقراق وجعل لها بابان^(٢) كان الوادى يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر بصناعة هندسية، حيث جلب الماء من الوادى إلى الباب المسامت لجامع حسان فى ترعة عميقة، فإذا صنعت سفينة جديدة بهذه الدار وأريد إرسالها فى الوادى، فتحت الترعة فيدخل الماء وتعم فيه السفينة، فتخرج من الباب القبلى سابحة على وجه الماء الى أن تقع فى الوادى، ولذلك ارتفع قوس الباب القبلى جداً ليخرج المركب منشور القلاع^(٣). ثم اهتم سلاطين بنى مرين بدار صناعة سلا، فقد أنشأ السلطان أبو سعيد عثمان الثانى (٧١٠/ ٧٣٢ هـ - ١٣١٠ - ١٣٣١م) بسلا الأجناف الغزوية، وفى شهر ذى القعدة سنة ٧١٠ هـ (١٣١١م) خرج السلطان أبو سعيد عثمان من مدينة فاس إلى رباط الفتح لدراسة أحوال

(١) كان من مدجنى مدينة إشبيلية: "من العارفين بالهيل الهندسية بصيراً باتخاذ الآلات العربية الجافية والعمل بها وانتقل الى فاس على عهد أبى يوسف يعقوب المنصور بن عبدالحق واتخذ له بولاب وبنا دار الصناعة بسلا".

- ابن الخطيب، الاحاطة، ج٢، ص ١٤٠؛ السلاوى الناصرى، الاستقصاء، ج٢، ص ٢٢؛ ابن القاضى، جذوة الاقتباس، ق ١، ص ٢٨٨.

(٢) الباب الاول وكان يسمى باب المرسى وهو عبارة عن قوس على شكل حدوة الفرس يحيط به شريط زخرفى ونقش طويل بالخط الكوفى. وتغطى أركان الباب زخارف نباتية كثيفة، ويحيط به برجان بارزان بروزاً خفيفاً تتوجهما زخارف نباتية، وهذا الباب يؤدى الآن إلى حى اليهود فى سلا ويعرف بباب الملاح. أما الباب الثانى، فقد تهدم ولم يبق منه إلا حائط الواجهة التى كانت تتوسط البرجين اللذين لم يبق منهما إلا بروزهما.

Terrasse: les Portes de l'arsenal de Salé, Hespéris, Tome II, année, 1922, P. 357-371.

(٣) ابن أبى زرع، روض القرطاس، ص ٢٩٢؛ العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب و الأندلس، ص ٢٨٠، ٢٨١؛ حرکات، المغرب عبر التاريخ، ص ٣٧٠.

Terrasse : les Portes de L'arsenal de Salé-P. 369-370.

أهلها والنظر فى أمور بلاد الأندلس عن كثب، واتخذ بعد ذلك عدة قرارات من بينها إنشاء الاساطيل بدار صناعة السفن بمدينة سلا لحماية سواحل الدولة ومدافعه الغزاة عنها^(١).

(ثالثاً) الاحتفالات والمناسبات العامة

(١) الاحتفال بالمولد النبوى الشريف

يعتبر الاحتفال بالمولد النبوى الشريف من الاحتفالات التى اختصت بها مدينة سلا وفى ذلك يقول ابن الخطيب: "اختصت مدينة سلا بالأعياد والاحتفالات الخاصة بأعياد ميلاد الرسول^(٢). والفضل يعود إلى الفقيه أبى القاسم العزفى أنه أول من احتفل بالمولد النبوى الشريف وذلك سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٩م) ويصور ابن عذارى ما كان يقوم به هذا الفقيه من مظاهر الاحتفال بقوله: "فيطعم منه أهل بلده ألوان الطعام ويؤثر على أولادهم ليلة يوم المولد السعيد بالصرف الجديد من جملة الإحسان عليهم والإنعام لأجل ما يطلقون المحاضر والصنائع والحوانيت يمشون فى الأزقة يصلون على النبى صلى الله عليه وسلم وفى طول اليوم المذكور يسمع المسمعون لجميع

(١) ابن الخطيب، الاحاطة، ج٢، ص ١٤١.

(٢) نفاضة الجراب، ص ٢٢. ومن المعروف الى وقتنا هذا ان مدينة سلا تعتبر من المدن المغربية القليلة التى تحتفل بمولد الرسول احتفالاً خاصاً تخرج فيه مواكب الشموع وطوائف الناس على اختلاف طبقاتهم فى عرض حافل بديع وذلك فى الثانى عشر من ربيع الأول من كل عام. ابن الخطيب، نفاضة الجراب، هامش (٤) ص ١٢٢.

أهل البلد مدح النبي عليه السلام، بالفرح والسرور والإطعام للخاص والعام،
جار ذلك علي الدوام في كل عام من الأعوام^(١).

(ب) الإحتفال بليلة السابع والعشرين من رمضان

كان أهل سلا يحتفلون بليلة السابع والعشرين من رمضان في كل
عام، حيث كانت تأتيها الوفود من جميع أنحاء بلاد المغرب لتشاركها هذا
الاحتفال. فكانت الخيام تنتشر حول المساجد وتزدان الأسواق والمتاجر،
وترفع المغارم، ويقوم أهل الخير بإقامة الولائم الكبيرة حيث كانت توزع
اللحوم والسمن والحلوى، كما كان يحضرها المغنون والمنشدون ويشهدها
الجميع : " كالقاضي والشهود العدول والخواص والأعيان والأمناء^(٢) ".

(رابعاً) الحياة الفكرية

الفقهاء والقضاة والمحدثين

ظهر في سلا الكثير من الفقهاء والقضاة والمحدثين والزهاد وفي هذا
يقول ابن الخطيب: " وإن كان بها أهل عبادة وسالكو سبيل وزهادة^(٣) ". منهم.
أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم بن أحمد
الكتامي ويعرف بابن العجوز وقد تولى قضاء سلا على أيام المرابطين
وتوفي سنة ٥١٠ هـ (١١١٦ م)^(٤)، وأبو العباس أحمد بن عشرة وقد تولى

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ٣٩٨؛ وانظر أيضاً العبادي، دراسات، هامش (٢) ص ٣٧٩.

(٢) ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص ١٢٢.

(٣) مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص ٦٥.

(٤) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج٢، ص ٣٩٧.

قضاء سلا على أيام المرابطين^(١)، وأبو محمد عبدالحليم بن عبدالله المراسى المعروف بالغماد، وهو من زهاد سلا، وتوفى بها وقبره لصق المسجد الأعظم علي مقربة من باب الكبير من جهة القبلة، وقد توفى سنة ٥٩٠هـ (١١٩٤م)^(٢)، وأحمد بن محمد بن أحمد بن خلف بن سليمان بن خالد بن بهلول بن عبدالرؤف بن مخارق بن أحمد العبدري، وقد روى بالأندلس عن بعض شيوخها، ثم رحل إلى المشرق وأدى فريضة الحج، ثم عاد إلى المغرب واستوطن سلا، وحدث بها وكان محدثاً عدلاً ديناً. فاضلاً كريماً الاخلاق، توفى بسلا في شهر شعبان ٦١٠ هـ (ديسمبر ١٢١٣م)^(٣)، وأبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البكري وهو من أهل شريش، وقد استوطن سلا وتولى القضاء بها، وقد توفى في أوائل عام ٦١١ هـ (١٢١٤م)^(٤)، والأخوان عبدالله وداود ابناحوط الله الانصارى الحارثى، واكبرهما عبدالله، وهو عبدالله بن سليمان بن داود بن عبدالرحمن بن سليمان بن عمرو بن خلف بن حوط الله الانصارى الحارثى، ولد بأنده نمن أعمال بلنسية في سنة ٥٤٩هـ (١١٥٤م) وهي موطنهم ودرس ببلنسية ومرسية وقرطبة، وبرز في الحديث والقراءات، وكان إماماً في صناعة الحديث ولم يكن في وقته أبعد صيتاً منه ومن أخيه ابي سليمان في هذا الميدان، استدعاه الخليفة يعقوب المنصور لتأديب بنيه، فحظي لديه ونال جاهاً ودنيا عريضة، وقد تولى القضاء

(١) ابن القاضى، جذوة الاقتباس، ج٢، ص ٤٠٨.

(٢) السلاوى الناصرى، الاستقصاء، ج٢، ص ٢١١.

(٣) ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، السفر الاول، القسم الاول، ص ٢٧٦.

(٤) ابن عبد الملك، المصدر السابق، السفر الاول، القسم الاول، ص ٢٨٧.

ففى سلا وتوفى سنة ٦١٢ هـ (١٢١٥م)^(١). والشاعر المؤرخ أبو عبدالله محمد بن على بن حماد بن عيسى بن أبى بكر الصنهاجى، وأصله من قلعة بنى حماد، إذ ولد فى قرية بوحمزة من أحواز قلعة بنى حماد سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣م) وقرأ ببلده القلعة وكانت حاضرة علم، ثم قرأ ببجاية، ولقى بها جلة من العلماء، ثم تولى قضاء الجزيرة الخضراء ثم ولى قضاء سلا سنة ٦١٣ هـ (١٢١٥م) وقد توفى سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣٠م) ومن مؤلفاته كتاب ذكر فيه شيوخه وقد أشار فيه إلى أنه لخص تاريخ الطبرى وكل ما روى عنه، وكتاب فى التاريخ سماه "النبد المحتاجة فى أخبار صنهاجة بإفريقية وبجاية"^(٢). وأحمد بن ابراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب بن عبدالله بن عمرو بن فرقد القرشى العامرى، تولى قضاء سلا، وتوفى بها سنة ٦٢٤ هـ (١٢٢٦م)^(٣) وأبو المطرف أحمد بن عبدالله بن محمد بن الحسين بن أحمد بن عميرة المخزومى، تولى الكتابة للخليفة الرشيد الموحدى، ثم نقله الى قضاء رباط الفتح وسلا، وظل يتولاها إلى أن توفى الرشيد وتولى الخلافة الخليفة المعتضد بالله الموحدى، فأقره على قضاء رباط الفتح وسلا^(٤). وأبو العباس أحمد بن محمد بن عمر الانصارى المعروف بابن عاشر، أصله من بلدة شمينه فى الأندلس، وقد اتجه إلى المشرق لأداء فريضة الحج ثم عاد

(١) ابن الخطيب، الاحاطة، ج٣، ص ٤١٦؛ المقرئ، نفح الطيب، ج٦، ص ٦٦، ٦٧؛ عنان، عصر الموحدين، ص ٦٥٦، ٦٥٧.

(٢) الغبر ينى (أبو العباس أحمد) : عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية، نشر محمد بن شنب، الجزائر، ١٣٢٨ هـ، ص ١٢٨-١٣٠.

(٣) ابن عبد الملك، التكملة، السفر الاول، القسم الاول، ص ٣٨.

(٤) ابن عبد الملك، المصدر السابق، السفر الاول، القسم الاول، ص ١٧٧؛ المقرئ، نفح الطيب، ج١، ص ٢٩٧، ٢٩٨؛ عنان، عصر الموحدين، ص ٧٠٠-٧٠١.

إلى المغرب، فأقام بفاس مدة، ثم رحل إلى مكناسة ثم أخيراً استوطن سلا، وكان من العلماء الجامعين بين العلم والعمل والمتمسكين بالكتاب والسنة، زاهداً ورعاً، وذاع صيته بحيث ارتحل إليه السلطان أبو عنان فارس المرينى لزيارته فى سلا والاستفادة من علمه سنة ٧٥٧ هـ (١٣٥٦م) ووقف بابه مراراً فلم يأذن له، وترصده يوم الجمعة وتبعه على قدميه بعد الصلاة ولكنه عجز عن لقائه، فأرسل السلطان إليه ولده راغباً ومستعطفاً، فأجابه بالرفض، غير أنه كتب إليه كتاباً وعظه فيه، فسر السلطان بذلك الكتاب، وقد توفى ابن عاشر فى شهر رجب سنة ٧٦٥ هـ (١٣٦٣م) ودفن على مقربة من برج الدموع جنوبى سلا^(١). وأحمد بن القاسم بن عبدالرحمن الجذامى، ويعرف بالقباب قال عنه ابن الخطيب: " تعرفت به فى مدينة سلا وأعجبنى سمته، حضرت مجلسه فى الحديث والفقه وأصول الدين^(٢). ومنهم القاضى أبو عثمان سعيد بن محمد العقبانى، ولى قضاء سلا وتوفى سنة ٨١١ هـ (١٤٠٨م)^(٣).

(١) ابن القاضى، جذوة الاقتباس، ق ١، ص ١٥٣؛ السلاوى الناصرى، الاستقصاء، ج ٢، ص ٢٠٠، ٢٠١.

(٢) ابن القاضى، المصدر السابق، ص ١٢٣.

(٣) ابن خلدون، بنية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبدالوادر، ص ١٢٣.

مصادر ومراجع البحث

- أولاً : المصادر العربية
- ثانياً : المراجع العربية الحديثة والأوربية المعربة
- ثالثاً : المراجع الأوربية

أولاً : المصادر العربية

- ابن الأبار (أبو عبدالله محمد بن عبدالله القضاعي) ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م.
: التكملة لكتاب الصلة، جزآن، نشر وتصحيح وطبع
السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة، ١٩٥٦ م.
: الحلة السيرة، نشر وتحقيق د. حسين مؤنس، في
جزئين، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٣ م.
ابن الأثير : (أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الجزري) ت
٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ هـ.
: الكامل في التاريخ، طبعة بيروت، دار الكتاب العربي،
الطبعة الثالثة، ١٩٨٠ م.
الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن عبدالعزيز الشريف السبتي) ت حوالي
٥٤٨ هـ (١١٥٤ م).
: صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس من
كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشره وترجمة
إلى الفرنسية دوزي ودي غوية (ليدن ١٨٦٦ م).
ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل بن يوسف) ت ٨١٠ هـ (١٤٠٧ م)
: روضة النسر في دولة بني مرين، طبعة القصر الملكي
المغربي، الرباط، ١٩٦٢ م.
ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) ت ٥٧٨ هـ (١١٨٣ م)
: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس
طبعة القاهرة في جزئين ١٩٦٦ م.

البكرى (أبو عبيد الله بن عبد الله بن عبد العزيز المرسى) ت ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م).

: المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب من كتاب المسالك

والممالك نشره دى سلان De Slane طبعة الجزائر،

١٩١١ م.

البيذق (أبو بكر بن على الصنهاجى) : ت القرن ٦ هـ (١٢ م)

: أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، تقديم

وتحقيق عبد الحميد حاجيات، الجزائر ١٩٧٤ م.

التادلى (أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن)

: التشوف إلى رجال التصوف نشره وصحه أدولف

فور، الرباط، ١٩٥٨.

الجزنائى (أبو الحسن على) ت القرن ٨ هـ (١٤ م).

: جنى زهرة الأس فى بناء مدينة فاس.

تحقيق عبدالوهاب منصور، الرباط،

المطبعة الملكية، ١٩٦٧ م.

الحكيم (أبو الحسن على بن يوسف) ت القرن ٨ هـ (١٤ م)

: الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة

تحقيق د. حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٨٦ م.

الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم السبتي)

ت ٨٦٦ هـ (١٤٦١ م).

: صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار

فى خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، الطبعة

الثانية، ١٩٨٤ م.

ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي البغدادي النصيبى)

ت ٣٨٠ هـ (٩٩٠م)

: صورة الأرض. طبعة بيروت، ١٩٦٢م.

ابن خاقان (أبو نصر الفتح بن محمد القيسى الإشبيلي)

ت ٥٣٥ هـ (١١٣٤م)

: قلائد العقيان في محاسن الأعيان.

القاهرة، ١٢٨٣ هـ.

ابن الخطيب (أبو عبدالله لسان الدين بن محمد بن عبدالله)

ت ٧٧٦ هـ (١٣٧٤م).

: أعمال الأعلام فيمن يبيع قبل الاحتلام من ملوك

الإسلام، القسم الخاص بتاريخ أسبانيا، نشره ليفي

بروفنسال باسم تاريخ أسبانيا الإسلامية، الرباط،

١٩٣٤م.

: إعمال الأعلام فيمن يبيع قبل الاحتلام من ملوك

الإسلام، القسم الخاص بتاريخ المغرب وصقلية، نشره

د. أحمد مختار العبادي والأستاذ محمد إبراهيم

الكتاني، الدار البيضاء، ١٩٦٤م.

: نفاضة الجراب في علالة الاغتراب

نشر د. أحمد مختار العبادي، القاهرة، ١٩٦٧م.

: الإحاطة في أخبار غرناطة.

نشر الأستاذ محمد عبدالله عنان، أربعة أجزاء ١٩٧٣-

١٩٧٧م.

مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب
والأندلس.

تحقيق د. أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، ١٩٨٣ م.
ابن خلدون (أبو زيد عبدالرحمن بن محمد) ت ٨٠٨ هـ (١٤٠٥ م)
: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم
والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.
بيروت، ١٩٨١ م.

ابن خلدون (أبو زكرياء يحيى بن محمد) ت ٧٨٠ هـ (١٣٧٨ هـ)
: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبدالواد، الجزء
الأول، تحقيق عبدالحميد حاجيات، طبعة الجزائر
١٩٨٠ م.

ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد) ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م.
: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.

تحقيق إحسان عباس، بيروت، بدون تاريخ.
ابن أبي دينار (أبو عبدالله محمد بن القاسم القيرواني) ت ١١١٠ هـ
: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس.
تحقيق محمد شمام، تونس، ١٩٦٧ م.

ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبدالله الفاسي) ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م.
: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك
المغرب وتاريخ مدينة فاس.
طبعة الرباط، ١٩٧٣ م.

: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية.

طبعة الرباط، ١٩٧٢م.

الزركشى (أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللؤلؤى) ت ٩ هـ (١٥م)

: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية

طبعة تونس، ١٩٦٦م.

ابن سعيد المغربى (أبو الحسن على بن موسى بن محمد)

ت ٦٨٥ هـ (١٢٨٦م)

: المغرب فى حلى المغرب.

تحقيق د. شوقى ضيف فى جزئين، القاهرة ، ١٩٥٢-١٩٥٥م.

١٩٥٥م.

السلوى (أبو العباس أحمد بن خلدون الناصرى) ت ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧م.

- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى.

طبعة الدار البيضاء، ١٩٥٤م.

ابن صاحب الصلاة (عبدالمك) كان حياً سنة ٥٩٤ هـ (١١٩٨م)

: المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة

وجعلهم الوارثين.

السفر الثانى، تحقيق عبدالهادى التازى، بيروت.

١٩٦٤م.

ابن عبدالمك (محمد بن محمد بن سعيد المراكشى) ت ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣م.

: الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة.

: ثلاثة أسفار، السفر الأول تحقيق محمد بن شريفة،

السفران الرابع والخامس، تحقيق إحسان عباس

بيروت، ١٩٦٤ - ١٩٦٥م، السفر الأول بدون تاريخ.

ابن عذارى المراكشى (أبو العباس أحمد بن محمد) كان حياً سنة ٧١٢ هـ
(١٣١٢م)

: البيان المغرب فى أخبار الاندلس والمغرب خمسة أجزاء،
الأجزاء الثلاثة الأولى تحقيق كولان وليفى بروفنسال،
طبعة بيروت بدون تاريخ، الجزء الرابع خاص بتاريخ
المرابطين، نشر احسان عباس، بيروت، ١٩٦٧م، الجزء
الخامس خاص بتاريخ الموحدين وبداية عهد بنى مرين،
نشر محمد ابراهيم الكتانى ومحمد بن تاويت، الدار
البيضاء، ١٩٨٥م.

الغبرينى (أبو العباس أحمد) ت ٧١٤ هـ (١٣١٥م).

: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة
ببجاية.

الجزائر، ١٣٢٨ هـ.

ابن القاضى (أحمد بن محمد بن أبى العافية المكناسى) ت ١٢٠٥ هـ
(١٦١٦م).

: جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام بمدينة
فاس.

طبعة الرباط، ١٩٧٤م.

ابن القطان (أبو الحسن على بن محمد الكتامى) ت ٦٢٨ هـ (١٢٣١م)

: نظم الجمان فى أخبار الزمان.

نشر د. محمود على مكى، الرباط، ١٩٦٤م.

القلقشندي (أبو العباس أحمد بن محمد) ت ٨٢١ هـ (١٤١٨م)

: صبيح الأعشى فى صناعة الإنشاء. ١٤ جزء. القاهرة،
١٣٣٨ م.

ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك التوزى)

: تاريخ الأندلس، وهو قطعة من كتاب الاكتفاء فى أخبار
الخلفاء، تحقيق د. أحمد مختار العبادى، مدريد،
١٩٧١ م.

المراكشى (عبد الواحد بن على) ت ٦٦٩ هـ (١٢٧٠ م)

: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب.
نشر سعيد العريان ومحمد العربى العلمى القاهرة،
١٩٤٩ م.

ابن مرزوق (أبو عبدالله محمد بن أحمد العجيسى التلمسانى) ت ٧٨١ هـ
: المسند الصحيح الحسن فى مآثر ومحاسن مولانا أبى
الحسن.

تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، ١٩٨١ م.

المقرئ (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد التلمسانى)

ت ١٠٤١ هـ (١٦٣١ م)

: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها
لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس بيروت،
١٩٦٨ م.

مؤلف مجهول

: كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار لكاتب مراكشى
من القرن السادس الهجرى، نشر وتحقيق د. سعد

زغلول عبدالحميد، الإسكندرية، ١٩٥٨م.

مؤلف مجهول.

: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية تحقيق سهيل
زكار وعبدالقادر زمامة، الدار البيضاء، ١٩٧٩م.

مؤلف مجهول

: نبذ تاريخية في اخبار البربر في القرون الوسطى
منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر نشره
ليفي بروفنسال، الرباط، ١٩٣٤م.

النويري (أحمد بن عبدالوهاب بن محمد بن عبدالدايم البكري التميمي
القرشي) ت ٧٣٢ هـ (١٣٣١م)

نهاية الأرب في فنون الأدب

الجزء الثاني والعشرين، نشر جاسبار راميرو، غرناطة،
١٩١٦-١٩١٧م.

الوزان (الحسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الإفريقي) ت ٩٥٦ هـ

: وصف إفريقية، الجزء الأول، ترجمة محمد حجي
ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٣م.

ياقوت (شهاب الدين أبي عبدالله الحموي) ت ٦٢٦ هـ (١٢٢٩م)

: معجم البلدان في معرفة المدن والقرى والخراب والعمار
والسهل والوعر في كل مكان.

ثمانية أجزاء، القاهرة، ١٨٦٦ - ١٨٦٧م.

ثانياً: المراجع العربية والأوروبية المعربة:

ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ، الجزء الأول، الدار

البيضاء، ١٩٦٥.

..... : الجيش المغربى فى عهد بنى مرين، مجلة

كلية الآداب، الرباط العدد الثامن،

١٩٨٢.

-أحمد مختار العبادى (دكتور): دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس،

ط١، الاسكندرية، ١٩٦٨م

..... : فى تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية

١٩٧٤م

-حسن احمد محمود (دكتور) : قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من

تاريخ المغرب فى العصور الوسطى،

القاهرة، ١٩٥٧م.

-حسن على حسن (دكتور) : الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس

فى عصر المرابطين والموحدين، الطبعة

الأولى، القاهرة، ١٩٨٠.

-سعد زغلول عبد الحميد (دكتور): تاريخ المغرب العربى، جزءان،

الإسكندرية، ١٩٧٩م.

-السيد عبد العزيز سالم (دكتور): المغرب الكبير (العصر الإسلامى)

الإسكندرية، ١٩٦٦م.

-عبد الله السويسى : تاريخ رباط الفتح، الرباط، ١٩٧٩.

-عز الدين احمد موسى (دكتور): النشاط الاقتصادى فى المغرب

الإسلامى خلال ق٦هـ، ط١، دار

الشروق- بيروت، ١٩٨٣

-ليفى بروفنسال : نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب
الأقصى، باريس، ١٩٢٣.

محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس، ط٤، القاهرة،
١٩٦٩م.

محمد عبد الله عنان : عصر المرابطين الموحدين فى المغرب
والأندلس، القاهرة ١٩٦٤م

محمد عيسى الحريرى : تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس فى
العصر المرينى، الكويت، ١٩٨٥.

-محمد الفاسى : نشأة الدولة المرينية، مجلة البينة، السنة
الأولى، العدد الثامن، رجب ١٣٨٢هـ/
ديسمبر ١٩٦٢.

-محمد المنونى : ورقات عن الحضارة المغربية فى العصر
المرينى، منشورات كلية الآداب والعلوم
الإنسانية، الرباط، ١٩٧٩م.

-يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس فى عصر المرابطين
والموحدين، ترجمة الأستاذ محمد عبد
الله عنان، القاهرة ١٩٥٨.

ثالثاً: المراجع الأوروبية:

- A. Ballesteros Beretta ;
La Toma de Salé en Tiempos de
Alfonso/ x El sabio, Al - Andalus, 1943.
- Alfred Bel ;
Les Banou Ghanaya, Paris, 1903
- Byrn (E.H.) ;
Commercial Contrcts of the Genoese/ in
the syrian Trade of the Twelfth Century.
"the quarterly Journal of Economics)
Vol. xxxl, 1916- 1917.
- Dozy (R.) ; Histoire des Musulmane d'Espagne,
Threevols. leyde,1932.
- Gaspar (R.) ; Historia de Murcia Masulmana,
Zaragoza, 1903
- Gélérrier.(j.) ;
"I" Atlas et la Circulation au Maroc,
Hespéris, Tome, II, 1927.

- Julien (A.) ; Histoire de L'Afrique du nord de la
Conquete arabe a' 1830, Paris, 1952.

- Marcais (G.) ; La Barbérie Musulmane et L'orient au
moyen - âge, Paris 1947.

- Miranda (A.H.) ; La Toma de salé Par la escuadra de
Alfonso, x nuevo datos, R. Hespéris,
année, 1952.

- ; La invasion de los Almoravidesy la
batalla de Zalaco, Hespéris, tome xl,
Paris, Anné, 1953.

- ; Historia Politico de L'imprio Almohade,
Tetuan, Vol I, 1956.

- Simonet ; Histoire de los Mozorabes de Espâna,
Madrid, 1897.

- Terrasse ; les Portes del' arsenal de salé, Hespéris,
tome, II, année, 1922.

فهرس المحتويات

الصفحة

٥٩-٣	- التاريخ السياسى لمدينة سلا
١١-٣	- سلا من الفتح الاسلامى حتى عهد المرابطين
١٥-١٢	- سلا فى عصر المرابطين
٤٠-١٦	- سلا فى عصر الموحدين
٥٩-٤١	- سلا فى عهد بنى مرين
٨٢-٦٠	- بعض مظاهر الحضارة بمدينة سلا
٦٥-٦١	أولاً: الحياة الاقتصادية
٦١	أ- الزراعة
٦٢	ب- الصناعة
٦٣	ج- التجارة
٦٤	د- صيد الأسماك
٧٨-٦٦	ثانياً: المنشآت المعمارية
٦٦	١- المنشآت الدينية
٧٠	٢- المنشآت المدنية
٧٥	٣- المنشآت العسكرية
٧٩-٧٨	ثالثاً: الاحتفالات والمناسبات العامة
٨٢-٧٩	رابعاً: الحياة الفكرية
-٨٣	- مصادر ومراجع البحث

